

# تكوين الفكر العربي قبل الإسلام

من اللغة -

الدكتور رشاد محمد خليل

## (I)

مقدمة :

وهو تعريف يشير الى الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية من ناحية كما يشير الى وظيفة اللغة الاجتماعية من ناحية أخرى .

فدراسة اللغة في ذاتها تعنى دراسة بنيتها من جوانبها الصوتية والتركييبية والمعجبية .

ودراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع تعنى دراسة علاقة اللغة بالجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية في مجتمع بعينه من ناحية ، ومدى تأثير هذه الجوانب على بنية اللغة وتطورها من ناحية أخرى (1) .

وقد درست اللغة العربية قديما دراسة مستفيضة من حيث بنيتها نحوا وصرفا وتركيبا ومعجبا ، ولكن دراسة بنيتها في ضوء علوم اللغة الحديثة ما زالت متعثرة ، تقوم على بعض الجهود الفردية المتناثرة هنا وهناك ، كما تقوم على الاجتهادات الفردية ايضا ، ويمكن القول ان دراسة اللغة العربية دراسة حديثة نحوا وصرفا وتركيبا ومعجبا لما تكذب تبتدا ، لان محور

تدرس اللغة اليوم على اساس انها ظاهرة اجتماعية وقد دخلت في مجال الدراسة الاجتماعية باعتبارها جزءا من علم الاجتماع العام ، وانشيء لدراستها فرع خاص في علم الاجتماع يدرسها على اساس انها ظاهرة اجتماعية ، ويسمى هذا الفرع ( علم الاجتماع اللغوى ) .

كما تدرس في نفس الوقت على انها ملكة انسانية ، وقد دخلت بهذا الاعتبار مجال الدراسات النفسية ، واصبحت لدراستها جزءا من علم النفس العام ، وانشيء لدراستها فرع خاص في علم النفس يدرسها على اساس نفسي ، ويسمى هذا الفرع : ( علم النفس اللغوى ) .

ويعرف اللغويون المحدثون اللغة بأنها « نظام من الرموز الصوتية يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » ،

(1) اللغة العربية عبر القرون ، محمود حجازي ص 4

الدراسة لما يزل عرضا للدراسة القديمة ، او نقدا لها او دفاعا عنها ، وذلك في الاعم الغلب .

لا يفكرون في ضم الجمل نفسها بعضها الى بعض ، فأسلوبهم كما يقول أرسطوطاليس هو الاسلوب اللانهائي ، الذي يتبع طريقة الجزئيات المتراكمة التي تتعارض والجملة الكاملة في تجانسها والمعروفة في اليونانية واللاتينية ، فالشيء عندهم في البلاغة ، كما هو الحال في المعمار ، هو الزخرفة العربية المعروفة (6) .

اما دراسة اللغة العربية في علاقتها بالمجتمع باعتبارها ظاهرة حضارية فانها تكاد تكون في حكم المدومة ، وأقول في حكم المدومة لان الدراسات التي تناولت اللغة العربية كظاهرة حضارية لم تكن دراسات بالمعنى العلمي ، وانما كانت في العديد منها ستارا علميا يراد من ورائه تصوير العرب بصورة المتخلفين عقليا وحضاريا ، ثم تأييد هذا التصور بجملة تكويننا أساسيا يظهر أثره في تركيب لغتهم ويفسر بطبيعة الجنس حيناً وجبرية البيئة حيناً لكنه ايا كانت التفسيرات لا يصدق عليهم وعلى لغتهم كيفما كانوا ، وصف التخلف .

ويكرر جوتيه نفس الإنكار تقريبا ولكنه يفسرها بالجبرية البيئية بدلا من طبيعة الجنس ، فالذي يميز الشعب العربي هو « تفصيل الطرفين ، وقرن الأضداد ، والمتشابهات بالاولى ، والانتقال من هذا الى ذاك انتقالاتا فجائيا أما المميز للمعبرية الآرية فهو التقريب التدريجي بين الأضداد ، ووصلها بعضها ببعض وصلا متناسقا بفضل ما يضمه بينها من الاطراف الوسطى المختارة بمهارة فهو الوحدة في الاختلاف ، وهو الشعور بالتنوع والتدرج المتوالي داخل سلسلة منسقة تنسيقاً منتظماً (7) .

ومما هو جدير بالأسف حقا أن هذه الدراسات المشبوهة قد أثرت في الفكر العربي الحديث تأثيرا عميقا ، وظهر هذا الأثر في كثير من الأبحاث العربية التي اعتبرت نتائج هذه الدراسات مسلمات تنطلق منها أبحاثهم .

أما أوليري فيرى انه مما لا فائدة منه أن تدعى أن تاريخ الفلسفة العربية يرينا ضمنا في أصالة العقل السامي ، لسبب واحد هو أننا لا نجد واحدا من فلاسفة المرتبة الاولى بعد الكندي عربيا بمولده ، وتقليل منهم يمكن أن يوصف بأنه سامي وقد يكون أكثر دقة أن نقول أن الفلاسفة الاغريق قد تفردوا حتى وقت متأخر جدا بمحاولة أي شيء يصدق عليه أنه دراسة نفسية علمية (8) .

ومن أمثلة هذه الدراسات التي تنتهي الى أحكام تطمية متمضة ، ما ذهب اليه رينان من أن « الجنس السامي اذا قوبل بالجنس الهندي الاوربي يعتبر حقا تركيا أدنى للطبيعة الانسانية » (2) « فالدين واللغة عندهم لم ينشأ بجهد عقلي .. وليس هناك شيء يخترع » (3) والوجدان السامي « واضح لكنه محدود » (4) والاسلوب السامي ينقصه نقصانا تاما الرؤية عن بعد ، وذلك بأن اللغات السامية مبسطة بسطا ، ولا تأخير فيها ولا تقديم ، فهي لا تعرف من طرائف التعبير غير قرن الإنكار بعضها ببعض » (5) « انه ينقص الساميين عامة احدى درجات التراكيب التي نعتبرها ضرورية للتعبير عن الفكر تعبيرا كاملا ناقص ما يعنون به ضم الكلمات في جملة واحدة ، وهم

ومن أمثلة العرب من معاصرنا الذين أخذوا هذه الأحكام المعتسفة مسلمات بنوا عليها دراستهم هو أحمد أمين فهو يردد أن « الخيال العربي ، محدود غير متنوع » أما عقليته فتمتيز « بعدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمطلوب ، والسبب والمسبب فهما

- (2) المدخل ص 63 .
- (3) الفكر العربي في التاريخ ، أوليري ترجمة تمام حسان ص 150 ، 151 .
- (4) فجر الإسلام ، أحمد أمين ص 39 .
- (5) فجر الإسلام ص 42 .
- (6) فجر الإسلام ص 42 .
- (7) المدخل ص 63 .
- (8) الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، أوليري ترجمة تمام حسان ص 150 و 151 .

طبيعة العقلية العربية تبيل الاسلام ، ليس مصدرها المستشرقين ولم تكن على اساس من الدراسة اللغوية وانما مصدرها علماء ومفكرون مسلمون ساقوها في معرض الدفاع عن الاسلام وابرار فضله على العرب ابتداء من ابن خلدون الى محمد عبده وعباس العقاد ومحمد البهي ومحمد حسن الباتورى . فابن خلدون يذهب الى ان جملة العرب كانوا « اهل بنى والحداد . وقطع للارحام ، وتنافس في الردى ، واعراض عن ذكر الله ، فكانت عبادتهم الاوثان والحجارة ، واكلهم المقارب والخنافس والحيات والجعلان واشرف طعامهم اوبار الابل اذا امروها في الحرارة في الدم ، واعظم عزهم وفادة على آل المنذر وآل جفنة ، وبنى جعفر ونجعة من ملوكهم ، وانما كان تنافسهم المؤودة والسائمة والوصيلة والحامى » (14) .

ويرى محمد عبده انه « قد بلغ العرب من سخافة العقل حدا صنعوا فيه اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ، فلما جاعوا اكلوها ، وبلغوا من تضعف الاخلاق وهنا قتلوا فيه بناتهم تخلصا من عار حياتهن ، او تنصلا من نفقات معيشتهم وبلغ الفحش فيهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمة » (15) .

وهو يرى ان الاسلام جاء قوة في قلب الضعف ، وسلطانا في مظنة المعجز وعلما في وسط امية ، ورشادا في غمرات الجاهلية (16) .

اما العقاد فيذهب الى ان حرية العرب تبيل الاسلام « هي حرية مصدرها كمصدر الحرية التى تتمتع بها الاوابد في الخلاء ، او تتمتع بها الطير في الهواء وعلتها انها حرية مصدرها قلة المنازعة عليها لا قوة المبادئ التى تدعها وتحميها ، فليست هي حقا من الحقوق ، ولكنها مال همل مباح لقلّة الراغبين فيه ، وغنية المنتفعين باليعدوان عليه » (17) ويقول « نشأت

تاما » (9) « وطبيعة العقل العربى لا تنظر الى الاشياء نظرة عامة شاملة ، وليس في استطاعتها ذلك » (10) « ونظرتة سطحية اذا نظر الى الشيء الواحد لا يستغفقه بفكره » (11) « فالعقل العربى تركيبى لا تحليلى ، وانه يعنى بالجزئيات ولا يحفل بالكل ، وهو لذلك عرف ارب المثل ولم يعرف القصة ، والفرق بين التركيب والتحليل يتضح في هذين النوعين من الانواع الادبية . فالمعنى الكبير يمكن تركيزه في المثل الذى لا يتجاوز السطر ، وهذا المعنى نفسه يمكن ان يصور في قصة طويلة ، المثل عملية تجريد وتركيب ، ونسى القصة على العكس يحدث تشخيص وتحليل وتفصيل » (12) ثم يفصل القول في تطبيق هذه الاحكام على لغة العرب وآدابهم .

واحدث الدراسات التى تابعت نفس الاتجاه دراسة عز الدين اسماعيل في كتابه « الاسس الجمالية للنقد العربى » فقد ردد فيه نفس الإنكار عن النظرة الجزئية ، والعقلية التركيبية ، وفسر ذلك بالحرارة والمناخ ، والدائرة المغلقة في الصحراء ، فالحرارة والمناخ يفسران ظاهرتى الثبات على التقاليد والتكرار ، والصحراء والحرارة ودائرة الامق المغلقة تفسرهما ايضا وتفسر معهما الشعور باللامحدود واللانهاى ، كما تفسر لنا وحدة البيت في القصيدة ، وتفسر تفكك القصيدة كما ان طبيعة العقل العربى التركيبية تفسر لنا اهتمامه بالبيت الواحد دون القصيدة والنظرة التجريدية في طبيعة هذا العقل تفسر لنا عدم عنايته بالتفصيلات واكتفائه بالخطوط الاساسية ، بل ان من دلالات النظرة التركيبية في طبيعة العقل العربى ما عرف من قدرته على اللحمة الفكرية دون الفكرة الكلية (13) .

على ان هناك ايضا احكاما قطعية تعسفية على

(9) نجر الاسلام ، احمد امين ص 39 .

(10) نجر الاسلام ص 42 .

(11) نجر الاسلام ص 42 .

(12) نجر الاسلام ص 61 .

(13) انظر الاسس الجمالية ص 283 الى 288 ، ص 279 الى 282 .

(14) تاريخ ابن خلدون ج 2 ص 167 - 168 .

(15) رسالة التوحيد ، محمد عبده ص 180 .

(16) نفس المصدر ، ص 191 .

(17) الديمقراطية في الاسلام ، العقاد ص 27 - 28 .

الدعوة الإسلامية في بيئة مريضة بأدواء العصبية  
وضروب الضلال في اختلاط العبادات والخرافات فلو  
جرت الأسباب التي تتركها في مجراها المعهود ،  
فالدعوة التي تأتي من قبل هذه البيئة لن تدعو إلى  
اله واحد يتساوى لديه جميع الناس ، ولن تمنح  
الإنسان حقاً واحداً يتساوى فيه جميع الناس » (18) .

ويذهب محمد البهي إلى أن العرب قبل الإسلام  
كانوا قوماً أميين في ضلال مبين ، وانهم لم يكونوا  
أصحاب حضارة (19) .

أما الباتوري فيذهب إلى القول بأنه في جزيرة  
العرب « عاشت أمة جاهلية فكانت في جملتها أذل  
الناس ذلاً ، وأشقاهم عيشاً ، وأبينهم ضلالاً ،  
وأعراهم جلوداً وأجوعهم بطوناً ، معكومين على رأس  
حجر ، بين الأسدين فارس والروم . . والله ، ما نعلم  
أمة في حاضر الأرض كانت أصغر حظاً وأدق شأناً  
منهم ، حتى جاء القرآن فنقلهم من الذلة إلى العزة ،  
ومن الشقاء إلى السعادة » (20) .

وليس بهم في ميزان العلم الصحيح أن تصدق  
هذه الأحكام على عقلية العرب ولغتهم أو لا تصدق ،  
وانما المهم بمقياس العلم الصحيح أن تصح هذه  
الأحكام أو يصح غيرها نتيجة دراسة منهجية دقيقة  
غير متحيزة ولا متحاملة للتراث الوحيد الذي خلفه  
لنا هؤلاء القوم محط الحكم والتقدير - وهو اللغة ،  
فاللغة وحدها هي كل ما خلفه هؤلاء الناس من تراث ،  
أذ لم يتركوا لنا أثراً باتياً مما يعتده المؤرخون من  
وثائق معتمدة للبحث التاريخي مثل الأوراق  
والبرديات والنقوش والعمائر ، والتماثيل . . الخ .  
هذه الوثائق .

واقصد بالعرب الذين ظهر الإسلام بين ظهرانهم،  
لا أصعد في تاريخهم جنوباً إلى حضارات اليمن ،  
ولا شمالاً إلى حضارات الشمال أقصد عرب الحجاز  
ونجد بالتحديد ، فلغتهم هي التي بقيت لنا ، وهم  
الذين قدموا لنا الإسلام .

ومهمة هذا البحث هي الكشف عن تكوين العقل

(18) عبقرية محمد العقاد ص 24 .  
(19) الفكر الإسلامي الحديث ، البهي ص 223 - 224 .  
(20) أثر القرآن في اللغة العربية ، الباتوري ص 9 .

الدراسة ، فانها ضرورية ليس فقط لبيان وجه الحق في طبيعة اللغة العربية والعقلية العربية بل للكشف كذلك عن اصالة الفكر العربي ، واصالة منابعه ، واصالة مناهجه ، وطبيعة الدور الذي اداه للانسانية عبر التاريخ .

• وعلى الله قصد السبيل •

رشاد محمد خليل

( الجاهلى ) حول قضايا الفكر الاساسية وهى :  
الله ، الوجود ، النفس ، الاخلاق — مع مقارنة تصور الفكر العربى لهذه القضايا بتصور الفكر الاغريقى والمدارس التى تأثرت به على طول تاريخ الفلسفة القديمة قبل الاسلام ، ثم بيان موقف الاسلام من التصور العربى فى هذه القضايا .

وفي ضوء هذه الدراسة الشاملة المتكاملة يمكن فقط الحكم على اللغة العربية والعقلية العربية بمنطق العلم وموازينه . وايا كانت الصورة التى تكشف عنها



## الباب الاول

### القسم الاول

## تطور اللغة وخصائصها

### الفصل الاول :

#### ١ - التطور اللغوي :

سنة ، وهذا التاريخ ، هو تاريخ اقدم نص اكدي ، والاكدي احدى اللغات الميتة التى كشفت عنها وعن غيرها البحوث الاثرية فى منطقة الشرق الاذنى والتى عكف الباحثون على دراستها ، وتبين لهم فى اللغات السامية وجود خصائص مشتركة بين بعضها البعض ، وبينها وبين بعض اللغات الحية كالعربية والعبرية والحبشية مما دفعهم الى افتراض اصل مشترك بين هذه اللغات جميعا سموه اللغة السامية الام ، واطلقوا على مجموعة اللغات التى تشترك فيه اسم أسرة اللغات السامية وهى تضم العربية والاكادية والكنعانية والحبشية والآرامية . وتشتمل اللغة الكنعانية على اللغات الاوغاريتية والعبرية والفينيقية ، وتسمى اللغة الفينيقية فى امتدادها الانريقى اللغة البونية ، كما تشتمل اللغة الآرامية على اللهجتين السريانية والنبطية ، وتشتمل اللغة العربية على العربية الجنوبية ( لغة اليمن ) والعربية الشمالية ( لغة الحجاز ونجد ) (3) .

تبدو اللغة العربية التى نزل بها القرآن وروى بها الشعر القديم . ودونت فى المعاجم اللغوية ، وكأنها قد ظهرت الى الوجود فجأة ، تامة التكوين ، ناضجة الاساليب ، مما دفع عددا من اللغويين القدماء الى ان يتصورها لغة مقدسة هبط بها الوحي ، او تجلى بها الالهام على قلوب اصحابها (1) كما دفع ذلك احد المستشرقين المحدثين ، وهو المستشرق الالماني ( فولرز Vollers ) الى القول بأن اللغة العربية الفصحى لغة صناعية ، ولم تكن يوما من الايام لغة كلام ومخاطبة (3) .

لكن الدراسات الحديثة قد استطاعت ان تصل هذه اللغة التى لم يكن يعرف لها تاريخ ابعد من قرنين من الزمان قبل نزول القرآن - الى ما قبل عام - 2500 ق . م اى ما قبل الاسلام باكثر من 3000

(1) المزهرة للسيوطى ج 1 ص 30 : 35 فقه اللغة لابن فارس ص 5 - 6 .

Volkssprache und schrift

Sprachmelten Arabien ; Strassburg ; 1905

(2) بنرك فلزر K. Vollers فى كتابه : انظر العربية ليوهان فك ، ترجمة محمد عبد الحليم النجار ، وانظر اللغات السامية لفؤاد حسنين .

(3) اللغة العربية عبر القرون ص 16 - 23 .

قبل هذا التاريخ من مهد الساميين الى أرض الراندين .  
معنى هذا أن عمر هذه الالفاظ أكثر من خمسة وأربعين  
قرنا « (5) .

وتكشف لنا هذه المجموعة من الالفاظ على ثقتها  
عن شيء بالغ الدلالة بالنسبة للشعوب التي يطلق  
عليها الشعوب السامية بما فيها الشعب العربي ،  
وهو أن هذه الشعوب قد تجاوزت طور المرحلة البدائية  
منذ هذا التاريخ البعيد الذي يرجع الى ما قبل الميلاد  
بأكثر من 2500 سنة « ففى الامم البدائية الضعيفة  
التفكير ، المنحطة المدارك تغزر الكلمات الدالة على  
المحسات والامور الجزئية ، وتنعهد او تقل الالفاظ  
الدالة على المعانى الكلية ، وتخلو دالة المفردات من  
الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والابهام  
وتخلو القواعد أو تكاد تخلو من ظواهر التحريف  
والاشتقاق وريط عناصر الجملة ، والعبارة بعضها  
ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من  
ضروريات الحياة وفي كثير من الامم البدائية ينمكس  
فى اللغة من مظاهر الاضطراب والابهام ما تماز به  
عقليات الناطقين بها من سذاجة وقصور ، حتى أنها  
لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح دقيق ، وحتى  
ان أهلها انفسهم ليضطرون فى أثناء حديثهم الى  
الاستمئانة بالحركات اليدوية والجسمية لتكملة ما ينقص  
تعبيرهم وما يعوزه من دلالة . فقد روى عن قبائل  
(البوشيمان Bochimán) عشائر بدائية تسكن جنوب  
افريقية ) أنهم اذا أرادوا المحادثة ليلا يضطرون الى  
اشعال النار ليتمكنوا من رؤية الاشارات اليدوية  
والجسمية التي تصحب كلامهم فتكمل ناقصه وتوضح  
مدلولاته (6) ويقرر علماء الاثنوجرافيا الذين عنوا  
بدراسة السكان الاصليين بأمريكا واستراليا وأفريقية  
ان عقليات هذه الشعوب لا تكاد تدرك المعانى الكلية  
فى كثير من مظاهرها ، وان هذا القصور العقلى كان  
له صدق كبير فى لغاتهم فلا تكاد نجد فى كثير منها لفظا  
يدل على معنى كلى . ففى لغة الهنود الحمر مثلا لا  
يوجد لفظ للدلالة على شجرة البلوط ، ومن باب  
أولى لا يوجد أى لفظ للدلالة على الشجرة على

ومعنى هذا ان اللغة العربية ظلت لغة حية  
تنمو وتتطور على طول ما يزيد كثيرا على 3000  
آلاف سنة محتفظة فى رحلتها الطويلة هذه بأقدم  
خصائصها اللغوية مما جعل اللغويين ينظرون اليها  
اليوم على أنها أقدم اللغات السامية ، وأقربها الى  
اللغة السامية الام (4) .

و « يعرف الباحثون اليوم عددا من الالفاظ  
المشتركة فى كل اللغات السامية نجدها فى العربية  
والاكادية واللغات الكنعانية والآرامية بجانب العربية  
الجنوبية والحبشية وكان هذه الكلمات هى المعجم  
الاساسى البسيط الذى كان يستخدمه الساميون  
القديما والذى ورثته كل لغة من اللغات السامية عن  
اللغة الام . يضم هذا المعجم الاساسى الالفاظ الدالة  
على اعضاء الاسرة فكلمات الاب والام والاخ والاخت  
والعم كلمات مشتركة فى كل هذه اللغات والكلمات  
الخاصة بأعضاء جسم الانسان مثل العين والانف  
والرجل والشعر واليد والاذن والراس الفاظ نجدها  
مشاعا فى كل اللغات السامية وهذه الالفاظ دون شك  
هى ميراث قديم عند ما حاولت هذه الجماعات من  
البشر أن تسمى علاقات الاسرة وأن ينظر كل واحد  
الى اعضاء جسده . وهناك عدد آخر من الكلمات  
المشتركة الموروثة فى اللغة السامية الام تعبر عن  
اسماء بعض الحيوانات منها ليث وكنب وعجل ، هذا  
وقد عرفت بيئة الساميين الاوائل نوعا من الزراعة ،  
الامر الذى جعل بعض الكلمات الزراعية من المعجم  
الاساسى المشترك فى كل اللغات السامية وهذه مثل  
كمون ، سنبله ، قمح ، ثوم ، وبجانب هذا وذاك  
فالأعداد شىء مشترك فى هذه اللغات ونعنى بها  
الأعداد من 1 : 1000 فالساميون القديما لم يعرفوا  
كلمة للمليون بل قال العرب مثلا ألف ألف . أما فى  
محيط الأعمال فهناك أعمال كثيرة مشتركة فى اللغات  
السامية مثل : ملك .. قتل ، كتب ، هذه الالفاظ  
اذن من أقدم الالفاظ فى العربية واذا نظرنا الى النقوش  
الاكادية المؤرخة فى القرن الخامس والعشرين قبل  
الميلاد وجدنا فيها هذه الكلمات ، هاجر بها الاكاديون

(4) نفس المصدر ص 20 .

(5) اللغة العربية عبر القرون 24 - 25 .

(6)

مع الرواية الشفهية اذا صح اسنادها ، الرواية من صحيفة مكتوبة ، ولا الرواية عن صحفى يعتمد على الصحف المكتوبة (10) .

على ان هذا التاريخ الغامض الشديد الغموض تد ترك لنا بعضا من الآثار التي يمكن ان تلقى الضوء على هذا التطور في بعض مراحل هذه الآثار هي :

### 1 - النقوش :

كشفت لنا جهود الباحثين في المائة عام الماضية عددا كبيرا من النقوش العربية الشمالية المبكرة ، وصلتنا في الفترة الزمنية بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي ، وليست هذه النقوش هي أقدم شيء وصلنا بالعربية ، فقد ذكرت النقوش الاكادية التي حوت في العراق القديم عددا من اسماء الاعلام العربية ، وقد قام بعض الباحثين بدراسة هذه الاسماء واثبتوا انها اعلام عربية ، ويبدو ان هذه النقوش قد دوت بين 553 - 626 ق م ولكن هذه الاسماء لقلتها لا تقدم لنا معلومات مجددة عن طبيعة اللغة العربية في تلك الفترة .

اما النقوش الثمودية والصفرية واللحيانية فتعتبر من اهم مصادرنا للتعرف على المرحلة المبكرة في تاريخ العربية ، وقد وجدت هذه النقوش في أماكن كثيرة من المنطقة شبه الرعوية بين صحراء الجزيرة العربية والمناطق الزراعية في الشام والعراق وكذلك في شبه جزيرة سيناء ، وتختلف هذه النقوش من ناحية جودة الكتابة ووضوحها ، فبعضها كتب بعناية ودقة واهتمام والبعض الآخر كتبه أفراد بسطاء دون اهتمام بالرونق والجمال ويطلق على النوع الاخير اسم الجرافيتي او المخريشات . وكل هذه النقوش مدونة بخط يشبه الى حد ما الخط المسند الذي عرفته الصحف في عصورنا القديمة ، ويختلف شكل الخط المسند عن الخط العربي الشمالي اختلافا أساسيا ، ولكن هذا وذاك يشتركان في خاصية واحدة فقد عنوا بالاصوات الساكنة دون حركات قصيرة فنحن نكتب الكاف والتاء والباء للتعبير عن كتب وكتب وكتب .. الخ . وشبيه

العموم . وفي لغة الهوروليين (Hurons) من السكان الاصليين لأمريكا الشمالية ) يوجد لكل حالة من حالات الفعل المتعدى لفظ خاص بها ، ولكن لا يوجد للفعل نفسه لفظ يدل عليه ، فيوجد لفظ للتعبير عن الاكل في حالة تعلقه بالخبز ولفظ آخر للتعبير عنه في حالة تعلقه باللحم ، وثالث في حالة تعلقه بالزبد ، ورابع في حالة تعلقه بالوز .. وهكذا ، ولكن لا يوجد فعل ولا مصدر للدلالة على الاكل على العموم او الاكل في زمن ما (7) . ولفظ السكان الاصليين لجزيرة نسمانيا ( يقرب استراليا ) لا يوجد بين مفرداتها لفظ يدل على الصفة فاذا ارادوا وصف شيء لجأوا الى تشبيهه بأخر مشتمل على الصفة المقصودة فيقولون مثلا : « فلان كشجرة كذا » اذا ارادوا وصفه بالطول (8) . « فمه (9) الظواهر التي تلاحظ في اللغات البدائية قد اختلفت منذ هذا العهد السحيق ، فظهور الاسماء الكلية بالنسبة لاسماء بعض الحيوانات او بعض النباتات او بعض الاعمال وكذلك ظهور الاعداد من 1 : 1000 يعني ان اللغة قد دخلت فعلا في مرحلة حضارية . كما ان ظهور فعل كتب بالذات له دلالة التي لا تخفى على تقدم هذه المرحلة .

على ان ذلك لا يعني ان الدراسات السامية الحديثة قد استطاعت ان تزيح الغموض الشديد الذي يلف تاريخ تطور اللغة العربية حتى تاريخ ازدهارها في القرنين السابقين على الاسلام . وذلك لان هذه اللغة لم تتطور وتم عن طريق الكتابة او على ايدى المدرسين . وانما نمت وتطورت حتى ازدهارها فوق الرمال المتحركة عن طريق الحفظ والتلقين ، والتدريب الاجتماعي جيلا بعد جيل ، مما جعلهم يعتزون بالرواية الشفهية الى ابعد الحدود حيث انها كانت الوسيلة الوحيدة لحفظ تراثهم وتاريخهم ولغتهم وحضارتهم ، وحتى رأينا هذا الحب يترك اثره الواضح حتى بعد انتشار الكتابة وعصر التدوين مما جعل سلسلة الاسناد بالرواية الشفهية يدخل في امهات الكتب المدونة في مختلف فروع العلوم ، وحتى رأينا العلماء ولا يجيزون

Rilot... ; P 110 (7)

Rilot... ; P 204 (8)

(9) اللغة والمجتمع ، عبد الواحد ص 14 : 17 .

(10) طبقات ابن سلام ص 6 .

شيعة ، حرة ، غلام ، وهذه الالفاظ مما نعرفه في العربية .

وهناك أوجه خلاف بينها وبين العربية التي نعرفها نوزن هفعل يستخدم في اللحيانة ضمن أوزان التعدية ونحن نعلم أن العربية تعرف مقابل هذا وزن أفعل مثل اذهب أكرم ، أما وزن هفعل فنجده في النقوش اللحيانية في الفعل همتع أى متع بالصحة ، وهذا الوزن غريب عن العربية . وفوق هذا فإدانة التعريف في النقوش اللحيانية هي الهاء على نفس النحو الذى نعرفه في اللغة العبرية ، هذا ولم تكن الجماعات السامية القديمة فيما يبدو تستخدم أداة للتعريف تطورت كل لغة سامية وسائلها الخاصة بها للتعريف نال في العربية تقابل الهاء في العبرية . أما الآرامية فعرفت الفتحة في آخر الاسم وسيلة لتعريفه .

وفوق هذا وذاك فكل النقوش الصفوية والثمودية واللحيانية تشترك في عدد من الخصائص اللغوية الأساسية التي تأخذها من كتاباتهم بإمكانياتها التعبيرية المحدودة مما يجعلنا نقول أنها من اللهجات العربية المبكرة . غير أن اللهجات لا تمثل العربية الفصحى المتطورة التي وصلتنا في الشعر الجاهلى والقرآن الكريم . فهناك فرق بين وجود بعض الظواهر اللغوية الصرفية أو المعجمية المشتركة وبين كون هذه النقوش مرحلة في طريق التطور الطويل الذى عرفته العربية من العهد السامى القديم قبل القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وحتى وصلت في الشعر الجاهلى الى مستوى رفيع .

وليس الثموديون والصفويون واللحيانيون وحدهم هم أصحاب النقوش التي وجدناها في صحراء الشام والعراق ، فالنبط أيضا شعب عربى ونعرف هذا من أسماء الأعلام عندهم ولكنهم لم يكتبوا بالعربية وكتبوا بالآرامية وهى لغة الحياة الدولية آنذاك ، ولكن للنبط أهمية كبرى في تاريخ العربية وخطوطها فالنبط هم من علموا العرب كيف يكتبون ، والخط النبطى هو صورة متطورة عن الخط الآرامى وهو أساس الخط العربى وقد استطاع الباحثون في تاريخ الكتابة تتبع المراحل التي تطورت بالخط عبر النبط حتى وصل الى الصورة التي نعرفها في أقدم النقوش المدونة بالخط العربى الشمالى وأقدم هذه النقوش المدونة بالخط

بهذا ما عرفناه في هذه النقوش فهى كتابة لا تعبر الحركات القصيرة حظها من الاهتمام ، ومن ثم كان استخراج الظواهر اللغوية من هذا الهيكل الكتابى صعبا . فى بعض الظواهر مستحيلا فى بعض الظواهر الأخرى .

تعرف النقوش الثمودية عددا كبيرا من الظواهر التي نعرفها فى العربية ، ففيها وفرة من الأفعال التي نعرفها فى العربية حق المعرفة مثل : علم حل بات رعى رهب بان كتم رد عشق ، وتعريف النقوش الفعل بوزن فاعل مثل : ساعد وبوزن أفعل مثل أبتسر ، وتعريف النقوش الثمودية كذلك عددا من حروف الجر مثل الى والباء وفى ومن واللام ، وعددا آخر من المفردات الشائعة فى العربية مثل جمل فاقه فرس وعل فلان فلانة آل أسير اسد ذكر حزم ظلم نصر . نعم سلامة سعادة ، وهناك عدد من أسماء الأعلام العربية وردت فى النقوش الثمودية مثل أحمد وبدر ووائل وزيد وحليم وطاهرة وظريف وكلب ولبيد ومطر ومكين وحضر ومروان ونوفل وضيف وأمين وشهر ، فكل هذه الظواهر والكلمات التي نعرفها اليوم وردت فى النقوش الثمودية التي يؤرخها معظم الباحثين من القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد والى القرن الثالث الميلادى ، وهكذا نجد أن عمر كثير من الظواهر فى العربية يرجع على أقرب تقدير الى هذه الفترة .

أما النقوش الصفوية ففيها ظواهر كثيرة تجعل الباحثين يقررون أنها تمثل لهجة عربية شمالية فنجد فيها الأفعال : ندم وتشوق ولعن ونهل وسمع وعور وقتل ورعى ، ومن الأسماء الشائعة فيها : فرس حنان ضال خيل خال خمسة كبير ملك معزى سطر عشرة ضيف رواح قبر ضريح . وبجانب هذا يوجد عدد كبير من أسماء الأعلام العربية ترد فى هذه النقوش مثل أذنيه جمال همام وهب ورد حبيب سالم سميع سرى سعد غاتم نهر صباح تيم معن ..

أما المجموعة الثالثة من النقوش فهى النقوش اللحيانية ، وهذه النقوش تعرفنا كثيرا من الخصائص التي تجعل الباحثين يدرجونها فى اللهجات العربية المبكرة ولتقرأ فيها الأسماء الآتية : عبد ، رب ، يوم ، بيت ، رأى ، عرض ، نعم ، ملك ، صام ، مرأة ،

العربي نقش زيد المؤرخ سنة 512 م ، ونقش حوران سنة 568 م ، ونقش أم الجبال الذي يؤرخ أيضا بالقرن السادس الميلادي أي أنها من تاريخ متأخر نسبيا إذا تورنت بالنقوش التي وصلتنا باللغات السامية الأخرى .

فأهمية النبط في هذا المقام ترجع إلى دورهم في تطور الكتابة وتعليمها لغيرهم من العرب ، أن النقوش النمودية والصفوية والليانية تفيد في دراسة العربية ، ولكن لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم لا تعتبر الامتداد المباشر للغة هذ النقوش ان هذه اللغة العربية قد وصلتنا في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم في صورة مصقولة متبلورة « (11) » .

## 2 - اللهجات :

تعد اللهجات ميدانا هاما جدا اذا نظر اليه في ضوء اللغة الثقافية التي روى بها الشعر القديم ونزل بها القرآن الكريم . اما الشعر القديم فقد روى بلغة موحدة لا اثر فيها اللهجات القبائل الخاصة التي ينتسب اليها الشعراء « ونحن حين نستعرض شعراء ربيعة تلك القبيلة التي عرفت بالكشكشة لا نكاد نلمح اثرا لتلك الصفة في شعر شعرائها ، ورواية شعر فيه كشكشة بشعر خال منها تأباه بعض الاوزان الشعرية .

بل حين نرجع إلى ديوان الهذليين لنستشف منه الصفات التي عرفت بها لهجة هذيل كالفحفة أو تسهيل الهمز أو الاستنطاق ، لا نكاد نعثر على اثر لها في اشعارهم . وكل الذي نراه في الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها لا يعدو أن يكون بضع كلمات قيل لنا انها بلفظها ومعناها قد اقتصت بها هذيل مثل ابل ضحضاح أي كثيرة ولا يعرف هذا غير هذيل والخبطة أي الوتد ، ومعناها فقط مثل : الطرف بمعنى الفتى . الكريم والخخش بمعنى الخشف وهناك كلمات وردت بالديوان في صيغة مخالفة لما اشتهر عنها مثل سبيج بمعنى سمج ونجد بمعنى نجد ، والسبب بمعنى السبب أي الحبل . ويوصف كل هذا بأنه لغة هذيل .

ويظهر أن شراح الديوان حين كان يعيهم تفسر كلمة من الكلمات أو تبرير صيغتها كانوا يعمدون إلى

(11) اللغة العربية عبر القرون ص 29 : 33

(12) في اللهجات العربية أنيس ص 43 : 44 .

إلى القول بأنها لهجة هذيل : فليس ما ورد بالديوان مما يسمى بلغة هذيل إلا نوعا من محاكات المفسرين والشرح « (12) » .

وأما بصدد القرآن فقد ظهر اختلاف اللهجات هذا أول ما ظهر في القراءات القرآنية . روى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « دخلت المسجد أصلى . فدخل رجل فافتتح النمل ، فقرأ ، فخالفني في القراءة فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم جاء رجل فقام يصلى فقرأ وافتتح النمل فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما ، فانطلقت بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : استقرىء هذين ، فاستقرا أحدهما وقال : أحسنت فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية . ثم استقرا الآخر وقال : أحسنت . فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده فقال : اعيذك بالله يا أباي من الشك ثم قال : ان جبريل عليه السلام أتاني فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف من أمتي ، ثم عاد وقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة أحرف « ( النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ) . ومن الواضح من هذا الحديث وغيره من الأحاديث أن العرب كانوا يستعملون في حديثهم اليومي لهجات متعددة تختلف إلى حد ما عن اللغة الفصحى التي روى بها الشعر ونزل بها القرآن ، وأن الرسول راعى اختلاف هذه اللهجات في أقرائه القبائل للقرآن تيسيرا للقراءة عليهم حتى لا ينفروا وأنه استأذن ربه في هذا التيسير فأذن له .

## اختلاف اللهجات :

وحيث بدأ اللغويون في تدوين اللغة ، وأخذ النحويون في تفعيل قواعدهم لاحظوا فروقا بين لغة الشعر ولغة الحديث ثم بين لهجات الحديث المختلفة

فسجلوا هذه الفروق ، فمنها ما نسبوه الى اهل ، ومنها ما اكتفوا بايراده .

ويشتمل هذا الاختلاف على ظواهر صوتية ، ونحوية ولغوية تتعلق ببنية الكلمة ودلالاتها والاشترك والترادف وغيره من الظواهر اللغوية وسنعرض لهذه المسائل جميعا في تركيز شديد .

#### 1 - الناحية الصوتية : من ظواهر الاختلاف الصوتية :

(1) الفتح والامالة : اجمع علماء العربية على نسبة الفتح لاهل الحجاز وعلى نسبة الامالة الى قبائل نجد ، ولا نريد ان نتعرض لدراسة الفتح والامالة من الناحية الصوتية فهذا ليس موضوع بحثنا ، وانما نشير فقط الى نوع الاختلاف فاهل الحجاز ينطقون مثل : باع وقال بفتح الباء والمد بالالف بينما ينطقها اهل نجد بالامالة اما الى الكسر فيقولون يبيع او الى الضم فيقولون بوع حسب اختلاف القبائل .

(2) الادغام وتسمى هذه الظاهرة عند المحدثين ASSIMILATION وهي تاتي نتيجة لتأثر الاصوات في المخرج بعضها ببعض .

وينقسم الادغام الى قسمين : كبير وهو الذي يفصل فيه بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير ( اى حركة ) وقد نسب هذا الادغام الى ابي عمرو بن العلاء احد القراء السبعة . وهذا النوع من الادغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل ان يتحقق فضلا عن انه ينسب الى قبيلة خاصة عرفت به وآثرته في نطقها . صغير وهو الذي يتجاوز فيه الصوتان الساكنان ، دون فاصل اصوات العين (13) ويظهر ان القبائل التي اثرت في البيئة العراقية بعد الاسلام تميل لهجاتها بوجه عام الى الادغام ، وان قبائل الحجاز كانت تميل الى الاظهار ، ويستأنس لذلك بان تمينا وهي من قبائل وسط الجزيرة كانت تقول : « محم » بدلا من « معهم » فقد قبلت العين المهجورة الى نظيرها المهموس وهو الحاء لجاورتها لصوت مهموس وهو الهاء ، ثم ادغمت الهاء في الحاء ادغاما تقديميا ، وروى عن تميم انها تقول « فزد » بدلا

من « فزت » اى ان القاف المهموسة قد قلبت الى نظيرها المجهور وهو الدال ، وذلك لجاورتها لصوت مجهور وهو الزاي (14) .

#### 3 - الهمز :

تكاد تجمع الروايات على ان قبيلة تميم تلتزم تحقيق الهمز في حين ان قريشا تتخلص من الهمزة بحذفها او تسهيلها او قلبها الى حرف مد . فنقول : تميم : رأس ، يثر ، لؤم ، وتقول قريش : رأس ، بير ، لوم .

#### 4 - الكسر والضم :

والكسر هو لهجة الحجاز اى الضم فلهجة تميم يقول الحجازيون : اسوة ، سرية ، غلظة ، عدوة ، عشوة قدوة بكسر الاول يقول التميميون : اسوة ، سرية ، غلظة ، عدوة ، عشوة ، قدوة بضم الاول .

#### 5 - الشدة والرخاوة :

تميل القبائل البدوية الى الاصوات الشديدة في نطقها على العكس من اهل المدن . فالباء والتاء والدال والكاف ، وغيرها من الاصوات الشديدة تميل في نطقها على الترتيب الى الفاء والسين والزاي والشين .

#### 6 - جهر الاصوات وهمسها :

تميل القبائل البدوية الى جهر بعض الاصوات بينما تميل قبائل الحضرة الى همسها مثال ذلك ان هذيل تغلب في لهجتها ( الحاء عينا ) فتقول : اللحم بدلا من اللحم ، والاعمر بدلا من الاحمر واعسن بدلا من احسن ، وقرا ابن مسعود في هذه اللهجة ( عسى عين ) بدلا من ( حتى حين ) .

#### 7 - التضخيم والترقيق :

تميل القبائل بوجه عام الى اصوات التضخيم في حين تميل القبائل الحضرية الى الترقيق ، ولذلك تظهر اصوات الاطباق وهي الصاد والظاء والضاد والطاء في نطق القبائل الاولى بينما تميل الاخرى

(13) في اللجنة العربية : انيس 20 : 71

(14) نفس المصدر 73 .

الى التخلص منها فتقلب الصاد مثلا سينا فتقول سراط  
بدلا من صراط .

## 8 - سرعة النطق :

تميل القبائل البدوية الى السرعة في نطقها  
فتدغم الاصوات بعضها في بعض ، وتسقط منها ما  
يمكن الاستغناء عنه دون اخلال بنهم السامع .

## لهجات مشهورة :

ترتب على هذه الاختلافات الصوتية وجود  
لهجات اشتهرت نسبتها الى بعض القبائل منها :

« الكشكشة » ، وهي في ربيعة ومضر ، يجعلون  
بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا فيقولون : رايتكش ،  
ويكش ، وعليكش ، فمنهم من يثبتها في حالة الوقف  
نقط ، وهو الاشهر ومنهم من يبيتها في الوصل ايضا  
ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرهما في الوصل  
ويسكنها في الوقف ، فيقول ، منش وعليش .

ومنها : اللشكشة وهي في ربيعة ومضر ،  
يجعلون بعد الكاف او مكانها في الذكر سينا على ما  
تقدم .

ومنها العنمنة وهي في كثير من العرب في لغة  
تيس وتميم ، تجعل الهزة البدوء بها عينا فيقولون  
في ائك عنك وفي اسلم عسلم ، وفي اذن عذن ومنها :  
الفحفحة في لغة هذيل ، يجعلون الحاء عينا .

ومنها : الوكم في لغة ربيعة ، وهم قوم من  
كلب ، يقولون : عليكم ويكم ، وحيث كان قبل الكاف  
ياء او كسرة .

ومنها : الوهم في لغة كلب ، يقولون : منهم  
وعنهم ، وبينهم ، وان لم يكن قبل الهاء ياء او كسرة .

ومنها : المعججة في لغة تضاعة ، يجعلون الياء  
المشدودة جيما يقولون في تيسى تيج .

ومنها : الاستنطاء في لغة سعد بن بكر ، وهذيل ،

والازد ، وقيس ، والانصار ، تجعل العين الساكنة  
نونا اذا جاورت الطاء كاتطى في اعطى .

ومنها : الوتم في لغة اليمن ، تجعل السين تاء  
كالنات في الناس .

ومنها : الشنشنة في لغة اليمن تجعل الكاف شيئا  
مطلقا كلبيش اللهم لبيش اى لبك .

ومنها : اللخلخانية في لغة اعراب الشحر وعمان  
كتولهم : مشا الله كان اى ما شاء الله كان .

ومنها الطمطماتية في لغة حمر كتولهم : طاب  
اسهواء : اى طاب الهواء « (15) .

## ب - الناحية الاعرابية والنحوية :

روى النحاة عدة مسائل اعرابية مختلف عليها  
وعلوا هذا الاختلاف بأنه اختلاف لهجات من هذه  
المسائل :

(1) ان ينصب الحجازيون خبر ليس مطلقا ،  
ولكن بنى تميم يرفعونه اذا اقترن (بالا) حملا لها  
على (ما) .

(2) قسم النحلة (ما) النافية الى حجازية  
وتبسية وقرروا ان خبر (ما) يكون منصوبا عند  
الحجازيين ، ومرفوعا عند التبسيين .

(3) ينصب الخبر بعد (ان) النافية في لهجة  
اهل العالية ، ويروى انه سمع من بعضهم (ان احد  
خيرا من احد الا بالعافية) .

(4) يصرف بنو اسد مالا ينصرف ، ويقع منهم  
ذلك فيما علة منه الوصفية وزيادة الالف والنون  
فيقولون (لست بسكران) .

(5) تنصب تميم تميم (كم) الخبرية مفردا ،  
وغيرهم يوجب جره ، ويجيزون افراده وجمعه فبنو  
تميم يقولون كم درهما أنفقت وغيرهم يقولون : كم  
درهم أنفقت .

(15) الزهر للسيوطى ج 1 ص 221 : 223 ، وانظر فقه اللغة ، عبد الواحد ص 120 وانظر فقه اللغة  
لابن فارس ص 24 وما بعدها .

ومنها : الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفا معتلا ،  
نحو اما زيد ، وايا زيد .

ومنها : الاختلاف في الامالة والتقويم مثل قضى ومدى .  
فبعضهم يفخم وبعضهم يميل .

ومنها : الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله .  
فمنهم من يكسر الاول ومنهم من يضم ، نحو :  
اشتروا الضلالة .

ومنها : الاختلاف في التذكير والتانيث ، فان من العرب  
من يقول : هذه البقر ، وهذه النخل ، ومنهم  
من يقول : هذا البقر ، وهذا النخل .

ومنها : الاختلاف في الادغام نحو : مهتدون ومهدون .  
ومنها : الاختلاف في الاعراب نحو : ما زيد قائما :  
وما زيد قائم ، وان هذين ، وان هذان .

ومنها : الاختلاف في صور الجمع نحو : اسرى واسارى  
ومنها : الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو : يامرکم  
ويامرکم ، وعفى له وعفى له .

ومنها : الاختلاف في الوقف على هاء التانيث مثل :  
هذه امه ، وهذه ايت .

ومنها : الاختلاف في الزيادة نحو : انظر ، وانظور (16)

#### د - اختلاف دلالة الكلمة .. التضاد :

وهو ان تدل الكلمة الواحدة على معنيين  
متناقضين ، وقد اختلف حول وضع العرب الكلمة  
الواحدة للمعنيين المتضادين او انكار ذلك . وقد الف في  
الاضداد جماعة من ائمة اللغة ، منهم قطرب ، والتوزي ،  
وابو بكر بن الابباري ، وابو البركات بن الانباري ،  
وابن الدهان ، والساغاني « (17) ، ولكن بحثهم في  
تأييد وجود التضاد او نفيه لم يسر مع  
الاسف في الطريق الصحيح فكل من الفريقين قد ايد  
وجهة نظره بحجج منطقية تدور حول ما يجب ومالا

(6) تعمل ( لمل ) عمل الجر عند عقيل : قال  
شاعرهم : لمل الله فضلكم علينا .

(7) تعمل ( متى ) عمل ( من ) الجارة عند هذيل ،  
قال شاعرهم :

شربين بماء البحر ثم ترفعت  
متى لجج خضمر لهن نتيج

(8) نصب الاسم والخبر ( بليت ) لغة تميم او رؤية  
الذي هو من تميم .

(9) مطابقة الفعل لفاعله في الامراد والتثنية  
والجمع وهو من خصائص لهجة طيء وتسمى هذه  
اللغة ( بلغة اكلوني البراغيث ) .

#### ج - اختلاف بنية الكلمة :

قال ابن فارس في فقه اللغة : اختلاف لغات  
العرب من وجوه :

احدها : الاختلاف في الحركات نحو نستعين  
ونستعين بفتح التون وكسرها ، قال الفراء : هي  
مفتوحة في لغة قريش واسد وغيرهم يكسرها .

والوجه الآخر وهو الاختلاف في الحركة والسكون  
نحو معكم ومعكم .

ووجه آخر : وهو الاختلاف في ابدال الحروف ،  
نحو : اولئك واولئك ومنها قولهم : ان زيدا وعن زيدا .

وبعد ذلك : الاختلاف في الهزة والتلين نحو  
مستهزلون ومستهزون .

ومنها : الاختلاف في التقديم والتاخير نحو  
صاعقة وصاعقة .

ومنها : الاختلاف في الحذف والاثبات نحو استحيت  
واستحيت .

(16) الزهر للسيوطي ج 1 ص 255 : 256 ، وفقه اللغة لابن فارس ص 19 : 21 ، وقد مر بعض  
هذه الاختلافات في الصوتيات .

(17) الزهر ج 1 ص 387 .

الواحد بمعنى وتستعمله الأخرى بمعنى واطرد هذا في بقية الالفاظ أمكن القول بهذا الرأي الذي ذهب إليه الآخرون ، وإذا تبين أن القبيلة الواحدة تستعمل اللفظ الواحد لمعنيين مختلفين وأن هذا يطرد في بقية الالفاظ قلنا أن العرب تضع اللفظ الواحد لمعنيين متضادين ، ثم نبحت بعدها لذلك عن علة وسبب ، ولهذا عن سبب آخر .

ومن هذا القبيل ما رواه الأزدي في كتاب الترتيمص : أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا عن عبد الرحمن عن عنه قال : خرج رجل من بني كلاب ، أو من سائر بني عامر بن صعصعة إلى ذي جندن ، فاطلع إلى سطح ، والملك عليه ؟ فلما رآه الملك اختبره فقال له ثب أي اتعد . فقال : ليتعلم الملك أنني سماع مطيع ، ثم وثب من السطح فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ؟ ؟ أن الوثب في كلام نزار الطمر . فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ، من ظفر حمر . أي من أراد أن يقيم بظفائر فليتكلم بالحميرية . فعلى الرغم من الصنعة الواضحة في كل خطوة من خطوات هذا الخبر ، فقد كنا نتمنى أن يتجه اللغويون هذا الاتجاه بصورة أكثر واقعية مع الفاظ مثل : الصريم بمعنى الصبح والليل ؟ والسدفة بمعنى الظلمة والضوء ، والقرء بمعنى الطهر والحيض . الخ . بصورة تمكننا من معرفة كيفية تداخل اللهجات ، وتطورها إلى الأرقى عن طريق الاحتكاك ثم الانتخاب .

#### هـ - المشترك اللفظي :

وهو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى في وقت واحد ، وقد اختلفوا أيضا في المشترك اللفظي « فالأكثر على أنه ممكن الوقوع ، لجواز أن يقع أما من واضعين ، بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في أمادته للمعنيين ، وهذا على أن اللغات غير توقيفية ، وأما ومن واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة كما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وقد سأله

يجب . فقد « ذكر صاحب الحاصل : أن التقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد ، لأن المشترك يجب فيه أفاة التردد بين معنييه ، والتردد بين التقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ » (18) ويقول « أبو بكر الأنباري في أول كتابه ( الأضداد ) : هذا كتاب ذكر الحروف التي توتمها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤيدا عن معنيين مختلفين 397 » ثم أصبح التضاد ما ملخصه أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ومن ذلك قول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جليل  
والفتى يسمى ويليه الأمل

فدل ما تقدم قبل « جليل » وتأخر بعده ، على أن معناه كل شيء ما خلا الموت يسير ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجليل هنا معناه عظيم (19) .

وذهب بعضهم إلى أن الحرف إذا وقع على معنيين متضادين فبحال أن يكون العربي قد أوقعه عليهما بمساواة بينهما ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره ، ثم سجع بعضهم لفة بعض فأخذ هؤلاء من هؤلاء . قالوا : فالجون الأبيض في لفة حى من العرب ، والجون الأسود في لفة حى آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر كما قالت قريش : حسب يحسب . فكان من حسب من لغتهم في أنفسهم ويحسب لفة لغيرهم ، سموها منهم فتكلموا بها ، ولم يضع أصل البناء على يفعل (20) والرأي الأخير كان من الممكن أن يقودنا إلى شيء هام لو أنه بنى على أساس استقرائي إحصائي بدلا من الأساس المنطقي بمعنى أن نتتبع أصحاب هذا الرأي المتضاد في لهجات القبائل ثم يقومون بإحصائه ثم تصنيفه حسب القبائل ، فإذا تبين أن بعض القبائل تستعمل اللفظ

(18) الزهر للسيوطي ج 1 ص 397 ، الأضداد في اللغة للأنباري ص 2 .

(19) الزهر للسيوطي ج 1 ص 397 : 398 ، الأضداد للأنباري ص 2 : 3 .

(20) الزهر ج 1 ص 401 : 402 ، الأضداد ص 10 .

وهلال السيد : وهو شبيه بالهلال يمرقّب به حبار  
الوحش وهلال الفحل : وهو الدوابة والهلال : القطعة  
من الغبار . وهلال الاصبع : المطيف بالظفر ، والهلال  
قطعة ، والهلال : الحية اذا سلخت ، والهلال :  
باقى الماء في الحوض ، والهلال : الجمل الذى قد اكثر  
الضراب حتى هزل .

وواضح ان اكثر ذلك ياتى من باب المجاز وهو  
من اهم الابواب التى تطورت بها اللغة ونمت  
واتسعت .

### و - المتاردفات :

وهو ان يدل اكثر من لفظ واحد على معنى واحد  
في وقت واحد ، وكما اختلفوا في الاشتراك والقضاء  
واختلفوا ايضا في المترادف فمنهم من امر المترادف :  
ومنهم من انكره ، ومنهم من يقف عند حد الاعتدال  
ومنهم يركب متن الشطط . (22)

ورائنا في الترادف كراينا في التضاد والاشترار  
وهو انه لا يتصور ان يكون الشيء الواحد قد سمي  
باسماء متعددة ابتداء ، وانما المتصور ان يكون الشيء  
الواحد قد وضع له لفظ واحد ابتداء ، ثم مع التطور  
والاحتكاك وكثرة الاستعمال واستمراره اخذت تظهر  
للشيء الواحد أسماء اخرى لاسباب متباينة ، او ان  
يكون الشيء الواحد قد وضعت له أسماء مختلفة في  
وقت واحد في جهات متعددة . ثم حصل احتكاك  
واختلاط اختلفت معه الاسماء على الشيء الواحد  
واشتهرت عليه ، ولناخذ لذلك مثلا الاسماء التى  
ذكرها ابن خالويه للسيف ، جاء « في شرح الدردير .  
الصارم ، والزداء ، والخليل ، والقضيب ، والصفحة ،  
والمفتر ، والصهامة ، والماتور ، والمقضب ، والكتهام ،  
والاثيث ، والمعصد ، والجراز ، واللدن والفطار ،  
وذو الكريهة ، والمشرقي ، والقساسى ، والمعضب ،  
والحسام ، والمخكر ، والهذام ، والهذوم ، والمنصل ،  
والهذاذ ، والهذهاذ ، والهذاهذ ، والمخصل ، والهزم ،  
والقاضب ، والمصمم ، والمطبق ، والضريبة ،  
والهندوانى ، والمهند ، والصقيل ، والابيض ، والغمر ،

رجل عن النبى صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما  
الى الغار : من هذا ؟ قال : هذا رجل يهدينى السبيل .

والاكثرون ايضا على انه واتع لنقل اهل اللغة  
ذلك في كثير من الالفاظ ومن الناس من اوجب وقوعه  
- قال : لان المعانى غير متناهية والالفاظ متناهية ،  
فاذا وزع لزم الاشتراك .

وذهب بعضهم الى ان الاشتراك اغلب - قال :  
لان الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ،  
والانعمال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ،  
والمضارع كذلك ، وهو ايضا مشترك بين الحال  
والاستقبال ، والاسماء اكثر فيها الاشتراك فاذا  
ضمناها الى تسمى الحروف والانعمال كان الاشتراك  
اغلب (21) .

وواضح هنا ايضا ان الخلاف جدلى في جوهره ،  
غير ان دلالة المشترك اللفظى على التطور لا يمكن  
ان يكون محل شك لانه لا يمكن تصور ان يكون اللفظ  
الواحد قد وضع ابتداء للدلالة على مجموعة من  
المعانى المشتركة وانما المتصور انه يكون اللفظ وضع  
للدلالة على شيء حى في الغالب ثم جرد بالمجاز للدلالة  
على شيء معنوى ، ومثل الاوز جمع اوزة لهذا الطائر  
المعروف ورجل اوز بمعنى غليظ ، ومثل العين بمعنى  
الحاسة البصرة والعين بمعنى الجاسوس والعين  
بمعنى ينبوع الماء ..

اما الالفاظ المشتركة بين عدة معان حسية فاما  
ان يكون الاصل فيها واحدا ثم وضع لغيره لمشابهة  
بين الاثنين ، او ان تكون احدى القبائل قد وضعت  
اللفظ لشيء ثم وضعت قبيلة اخرى نفس الاسم لشيء  
وثالثة لشيء آخر وكذا ، من ذلك لفظ الأرض ، جاء  
في الصحاح : الأرض المعروفة ، وكل ما سفل فهو  
أرض ، والأرض أسفل قوائم الدابة والأرض : النفضة  
والرعدة . قال ابن عباس في يوم زلزلة : ازلزلت  
الأرض أم بي أرض ، والأرض : الزكام ، والأرض :  
مصدر أرضت الخشبة لتؤرض أرضا فهي ما أرضته  
اذا اكلتها الأرضة وفي الجهمرة : الهلال : هلال السماء

(21) المزهري ص 369 : 370 ، وانظر فقه اللغة لابن فارس ص 65 وما بعدها .

(22) انظر المزهري للسيوطي ج 1 ص 402 : 403 .

والمعقبة ، والمبين ، وهو الذي لا يقطع ، والهندي  
ايضا ، في شعر كثير « (23) .

فنحن نستطيع بمجرد النظر ان نرد بعض هذه  
الاسماء الى النسبة ، مثل الهندوانسى ، والهندي ،  
والهندي ، كما نستطيع بمجرد النظر ان نرد بعض  
هذه الاسماء الى الصفة مثل : الصارم من الصرم وهو  
القطع ، والخليل : من صاحب ، واللدن من اللادن  
وهو المرن ، والابيض بالنظر الى لونه الصافي ،  
والصقيل بالنظر الى لمعانه ، والمتين بالنظر الى  
صلابته .

فاذا تأكد لنا ان بعضا من هذه المترادفات ما  
تزال واضحة الاصل الى الحد الذي يمكن معها ردها الى  
اصولها من النسبة او الصفة دون رجوع الى المعاجم ،  
امكن القول بان باتى الاسماء يمكن رده ايضا الى  
صفات يمكن استخراجها من المعاجم كالتعاضب  
والضريبة ، والعضب ، والرداء ، والمعقبة ،  
والغمر .. الخ . وهو اغلبها وان القليل جدا هو الذي  
يتعذر الحصول على اصله . على اننا لا نذهب الى القول  
بان هذه الاسماء كانت تستعمل ابدا منظورا الى  
نسبتها او وظيفتها وانما نقول انها هكذا كانت ثم  
غلبت في الاستعمال كاسماء سواء وضحت عند السامع  
نسبتها ووصفيتها لم لم تتضح ، وهذا الاصل واضح  
جدا في الصفات التي تطلق على افراد تحقيرا او  
تدليلا او تعظيما ثم تغلب عليهم فتحل محل اسمائهم  
الاصلية ، او تستعمل معها وهو ما يسمى باسماء  
الشهرة وقد ايد المحدثون من علماء اللغات وتوسع  
الترادف في اى لغة من لغات البشر وذكروا لوتوعه  
شروطا اوردتها ابراهيم انيس ونوجزها فيما يلي :

(1) الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما في  
ذهن الكثرة الغالبة .

(2) الاتفاق في البيئة اللغوية كان تنتمي الكلمتان  
الى لهجة واحدة او مجموعة منسجمة من اللهجات .

(23) المزهر : ج 1 ص 409 : 410 .

(24) المزهر ج 1 ص 409 : 410 (1) في اللهجات العربية ص 178 : 184 .

(25) المزهر ج 1 ص 407 : 413 .

(26) فقه اللغة ، عبد الواحد ص 163 .

(3) الاتحاد في العصر كان تكون الكلمتان في عهد  
خاص وزمن معين وهى النظرة التي يعبرون عنها بكلمة  
synchronic فلا يجوز ان تبحث الترادف بين كلمتين  
احدهما من العصر العباسي والاخرى من العصر  
الحديث مثلا .

(4) الا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتى  
للفظ الآخر فلا نقارن بين ( الجئل والجمل ) بمعنى  
النمل (24) .

ويشكل الترادف في العربية بغزارته ظاهرة  
استلقت نظر الباحثين قديما وحديثا ، فقد ألف فيه  
بعضهم كتابا منهم « مجد الدين الفيروزابادى صاحب  
القاموس ، ألف فيه كتابا اسماء الروض المسلوكة فيما  
له اسمان الى الوف وافرد خلق من الائمة كتابا في اشياء  
مخصوصة ، فالف ابن خالويه كتابا في اسماء الاسد ،  
وكتبا في اسماء الحية واورد صاحب القاموس في كتابه  
الذي سماه تزيين الاسل لتصنيف العسل للعسل  
ثمانين اسما وكتب فيه ابن خالويه ، والقالى ،  
والزجاجى ، وابن السكيت ، وثلث وغيرهم (25) .

وقد جمع ، فون هامر Von Hammer -  
المفردات العربية المتصلة بالجمل وشؤونه . فوصلت  
الى خمسة آلاف وستمائة واربعة واربعين (26) ويكشف  
لنا الترادف بغزارته هذه عن التطور الكبير الذى مرت  
به العربية من ناحيتين .

أولا - الناحية التاريخية :

والتي تتمثل في :

(1) تاريخ طويل مر على هذه المفردات لكى  
تشتق وتوضع جيلا بعد جيل حتى تتراكم على هذه  
الصورة الهائلة فنحن لا ندري كم من الزمن احتاجه  
اشتقاق 5644 اسما للجمل وشؤونه الا اننا نقطع ان  
هذا الزمن لا بد ان يكون قد استغرق اجيالا كثيرة .

وانظر :

(2) كما تتمثل أيضا في الاحتكاك الطويل بين مختلف القبائل على تعاقب أجيال كثيرة يقرض بعضها بعضا ويأخذ بعضها من بعض ثم يتجمع هذا الرصيد ببطء ليصبح رصيذا لغويا مشتركا تستعمله اللغة الثقافية ، ويتصرف فيه الشعراء والخطباء وتتداوله السنة الناس دون تمييز .

#### ثانيا - الناحية الاشتقاقية :

وهي تمثل لنا مرونة عقلية ضخمة وقدرة اشترك فيها العرب على اختلاطهم على التصرف في المعانى بالمجاز ، وعلى نمو هذه المقترنة وتتوارثها جيلا بعد جيل حتى اثمرت ثمرتها في النهاية في خلق هذه اللغة الناضجة التي دون بها الشعر ونزل بها القرآن .

#### ز - بصمات أخرى للتطور :

على انا نجد بالاضافة الى كل ما سبق بصمات اخرى للتطور الذي مرت به اللغة العربية تتمثل في كثير من المظاهر اللغوية التي نذكر منها :

(1) **الضعيف من اللغات** : وهو ما انحط عن درجة الفصحح ومنها في ديوان الفارابي اللهجة لغة في اللهجة وهي ضعيفة . وانيد نبذا لغة ضعيفة في نبذ واندمع لونه لغة ضعيفة في امتنع وتمندل بالمنديل لغة ضعيفة في تندل وواخاه لغة في آخاه وهي ضعيفة والامتحاء لغة ضعيفة في الامحاء (27) .

(2) **المتكسر** : وهو اضعف من الضعيف واقل استعمالا من امثلته في الجمهرة قال قوم : بلق الدابة ، وهذا لا يعرف في اصل اللغة .

وفيها : قال قوم : نبلة وحدة النبل . ولبس بالمعروف .

وفي الصحاح جرعت الماء بالفتح لغة انكرها الاصمعي والمعروف جرعت بالكسر (28) .

(3) **المتسوك** : وهو ما كان تديبا من اللغات ثم ترك واستعمل غيره وامثلة ذلك كثيرة في كتب اللغة .

قال في الجهرة : اسماء الايام في الجاهلية : السبت : شبار - والاحد : اول والاثنين اهون واوهد والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة :

واسماء الشهور في الجاهلية المؤتمر وهو المحرم وصفر وهو ناجز وشهر ربيع الاول وهو خوان وقالوا خوان . وربيع الآخر وهو ويان وجمادى الاولى الحنين ، وجمادى الآخرة ربي . ورجب : الاصم - وشعبان : عادل ، ورمضان نائق وشوال وعل وذو القعدة ورنه وذو الحجة برك (29) .

#### 4 - الرديء والمضموم :

وهو اللهجات التي سبق الكلام عنها من كشكشة وكسكسه وقلته . الخ .

(5) **الشاذ** : ومنه ما هو مطرد في القياس شاذ في الاستعمال وذلك نحو الماضي من بذر ويدع . وكذلك قولهم : مكان مبقل ، هذا هو القياس ، والاكتر في السماع باقل ، والاول مسموع أيضا ابوزبير في كتاب « جيلة ومحالة » وانشد اعاشنى بعمك وادمبقل (30) والشاذ في القياس والاستعمال جميعا وهو كتتميم مفعول ما عينه واو او ياء نحو ثوب مصوون ومسك مدووف وخلي البغداديون فرس تقوود ، ورجل معودود من قرضه (31) .

(6) ومن ذلك أيضا الحوشي والضرائب والنوادر : قال ابراهيم بن المهدي لكاتبه عبد الله بن صاعد : وايك وتتبع وحشى الكلام طمعا في نيل البلاغة ، فان ذلك هو العى الاكبر وعليك بما سهل مع تجنيك الفاظ السهل . والغرائب جمع غريبة ، وهي بمعنى الحوشي ، والشوارد جمع شاردة وهي أيضا بمعناها والنوادر الشواذ قال في الصحاح ندر الشيء يندر ندورا سقط وشذ ومنه النوادر وقد ألف الاقدمون كتبنا في

(27) المزهري ص 214 ج 1 .

(28) المزهري ص 218 .

(29) المزهري ج 1 ص 219 .

(30) المزهري ج 1 ص 227 ، 228 ، والخصائص لابن جنى ج 1 ص 101 .

(31) المزهري ج 1 ص 229 والخصائص ط ص 102 .

حزمه ومولاة بيته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفتدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة سنتها اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب (36) .

وقد حدد الاتدمون ايضا موطن هذه اللغة الثقافية وحصروها في نطاق معين من القبائل التي يمكن ان يقال انها تشكل وحدة حضارية تمثل مستوى خاصا من الثقافة نقل السيوطي عن ابي نصر الفارابي قوله في اول كتابه المسمى ( بالالفاظ والحروف ) كانت قريش اجود العرب انتقادا للانصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا ، وابينها ابانة عما في النفس والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعندهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، واسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ معظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة لم يؤخذ عن حضرى قط ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ من لخم ولا من جذام لجاورتهم اهل مصر والتببط ولا من تضاة وغسان لجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرعون بالعبانية (37) ولا من عبد القيس ولا من عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم (38) .

النوادر كنوادر ابي زيد ونوادر ابن الاعرابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وغيرهم ، وفي آخر الجهمرة ابواب معقودة للنوادر وفي الغريب المصنف لابى عبيد باب لنوادر الاسماء وباب لنوادر الاعمال والف الصنعاني كتابا لطيفا في شوارد اللغة ، ومن عبارات العلماء المستعملة في ذلك النادرة وهى بمعنى الشوارد (32) ومن امثلة النوادر في الاسماء البدرت : الرجل الدليل ، والحرش : الاثر ، والمعينة ساحل البحر ( 33 ) .

ومن امثلة النوادر في الافعال ما ذكره ابو عبيد في الغريب المصنف تمتعت بالشيء ذهبت ، تشاول القوم : تناول بعضهم بعضا عند القتال بالرماح ، خرج يستمى الوحش يطلبها (34) .

#### اللغة الثقافية :

يتضح لنا مما سبق ان هناك مراحل طويلة جدا من التطور مرت على اللغة العربية قبل ان تستكمل بناءها وادواتها علمية كانت او ادبية وقد ادرك القدماء هذا المعنى وعبروا عنه بقولهم « قال الفراء : كانت العرب القدماء تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا افصح العرب ، وخذت لغتهم من مستبشع اللغات ومستتبشع الالفاظ » (35) و « وقال ابن فارس في فقه اللغة : باب القول في افصح العرب . اخبرني ابو الحسن احمد بن محمد مولى بنى هاشم بقزوين قال حدثنا ابو الحسن محمد عبد عباس الحشكي قال : حدثنا اسماعيل بن ابي عبيد الله ، قال : اجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لاشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وايامهم ومحالهم ان قريشا افصح العرب السنة ، واصفاهم لغة ، وذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار معهم محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشا فطان

(32) المزهج ج 1 ص 234 .

(33) المزهج ج 1 ص 236 .

(34) المزهج ج 1 ص 237 .

(35) المزهج ج 1 ص 221 .

(36) المزهج ج 1 ص 209 : 210 ، فقه اللغة لابن فارس ص 231 .

(37) الاصح بالسريانية - اللسان العربي .

(38) المزهج ج 1 ص 211 : 212 .

## دلالة التطور العقلية والنفسية :

وأذن فلا بد أن تكون اللغة التي نزل بها أفضل اللغات وأوسعها ، يقول ابن فارس في فقه اللغة : « لفة العرب انضل اللغات وأوسعها ، قال تعالى : « وأنه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين (39) » فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف الكلام ، وهو البيان . وقال تعالى : « خلق الانسان علمه البيان » (40) فقدم سبحانه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه ، وتفرّد بانشائه ، من شمس وقمر ، ونجم وشجر ، وغير ذلك من الخلائق المحكّمة ، والنشأيا المتقنة ، فلما خص سبحانه - اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه ووافقة دونه « (41) » .

ثم اخذ يعدد الخصائص التي تنفرد بها اللغة العربية من دون اللغات ، ومنها الترادف ، وقد سبق أن بينا في دراسة التطور اللغوى أن الترادف مسألة خلافية كما أن دلالة أسماء كثيرة على الشيء الواحد في نفس الوقت أدخل في باب الخصائص لانه لا مبرر أن يثبت دليل قاطع أن هذه الأسماء جميعا قد وضعت للشيء الواحد ابتداء ، وأنها لم تكن نتيجة تطور وتعارض واحتكاك قبل النظر فيما إذا كان لدلالة أسماء كثيرة على شيء واحد في وقت واحد مميزة في ذاته أم لا ثم تكلم عن القلب والاعراب ، والعروض ، وحفظ الانساب ، والهمز في عرض الكلام ، وبعض الحروف التي اختلفت بها العربية ، والتصريف والنظم الذي اختلف به العرب ، مثل قولهم عاد فلان شيخا ، وهو لم يكن شيخا قط . ومخالفة الظاهر كقولهم في المدح قاتله الله ما اشعره والاستعارة والحذف والاختصار . والزيادة .

وهي خصائص يقتضى اثباتها للغة العربية وحدها التحقق من شئين :

اولا : أن يثبت بالدراسة المقارنة أنها خصائص للغة العربية تنفرد بها دون اللغات .

ثانيا : أن يتأكد أن هذه الخصائص تصلح نفس ذاتها كميزة يتمدج بها ، فالاعراب مثلا ليس مما تنفرد

نستطيع بناء على ما سبق القول بأن الفكر العربى قد دخل مرحلة حضارية قبل ظهور الاسلام بما يزيد على 3000 آلاف سنة ، وظل طوال هذا التاريخ ينمو ويتطور فوجود الاصول السامية القديمة في العربية واستمرارها طوال التاريخ لا يدل على عزلة هذه اللغة خلف رمال الصحراء الشاسعة كما ذهب المستشرقون ، لان هذا القول لو كان صحيحا لتجدت هذه اللغة على حالها القديمة تلك ، ولما نمت وتطورت واتسعت هذا التطور والانتساع الهائل الذى يشهد به التطور الذى درسنا آثاره واللغة الثقافية التى سندرس بعض خصائصها ، بل أن ثلاثة آلاف سنة من العزلة كانت كهيئة بأن تقضى تماما على المرحلة التى تطمتمت اللغة الام في تطورها وتمرد اللهجات المتفرغة عنها الى مرحلة بدائية أو شبيهة بها - لان الانسان كائن اجتماعى لا ينمو ولا يتطور ولا يتحضر الا بالاحتكاك والاجتماع - وقد شاهدنا العكس من ذلك وهو استمرار اللغة في اتساعها ونموها وتطورها فلا بد أن بقاء هذه الاصول ونموها بالتجريد والاشتقاق والمجاز راجع الى حيوية هائلة في العقلية العربية مكنتها من الاستمرار والتطور وقدر كبير من حرية الإرادة والتصرف مكنتها من أن تستفيد من احتكاكها بالحضارات دون أن تفقد شخصيتها وأصالتها من جهة ، وأن تندفع في نموها وازدهارها من جهة أخرى .

## ب - خصائص لغوية ذات دلالة فكرية :

تكلم العرب قديما عن خصائص اللغة العربية ، وكان الدافع لحديثهم عن الخصائص أحد سببين :

الاول : سبب دينى : وذلك لان اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، والقرآن كلام الله تعالى الذى لا يعلو عليه كلام ، والذى أعجز ببلاغته الانس والجن ،

(39) سورة الشعراء 191 : 195 .

(40) سورة الرحمن 3 : 4 .

(41) المزهر ج 1 ص 321 ، وفقه اللغة لابن فارس ص 12 .

به اللغة العربية ، وانما تشاركها فيه اخواتها الساميات كما ان الدراسات الحديثة تثير الشك في قيمته وفي اطراده قبل الاسلام وهو اعتراض خطير لا بد من تحقيقه قبل اثبات الميزة او عديمها .

الثانى سبب عنصري : وذلك لان الشعوب المغلوبة وعلى راسها الفرس ، لم يرتح بعض ابنائها لغلبة العرب عليهم لاسباب لا داعى للخوض فيها ، والمهم انهم طعنوا فيما طعنوا فيه في اللغة العربية ، وفيما يزعمه لها العرب من مزايا في الفصاحة والبلاغة والبيان ومما قالوه ما رواه الجاحظ « ومن احب ان يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ، ويتبحر في اللغة ، فليقرأ كتاب كاروند . ومن احتاج الى العقل والادب ، والعلم بالمراتب والعبر والمثالات ، والالفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة فلينظر في سير الملوك . فهذه الفرس ورسائلها وخطبها والفاظها ، ومعانيها وهذه اليونان ورسائلها وخطبها ، وعللها وحكمها ، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف المستقوم من الصحة ، والخطا من الصواب ، وهذه كتب الهند في حكمها واسبابها وسيرها وعللها ، فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم ، عرف اين البيان والبلاغة ، واين تكاملت تلك الصناعة فكيف سقط على جميع الامم من المعروفين بتدقيق المعاني ، وتخير الالفاظ وتمييز الامور ، ان يشيروا بالقنا والعصى ، والقضبان والقسي كلا ، ولكنكم كنتم رعاة الابل والغنم . فحملتم العصى في الحضرة بفضل عادتكم لحملها في السفر ، وحملتوها في المدر ، بفضل عادتكم لحملها في الوبر ، وحملتوها في السلم ، بفضل عادتكم لحملها في الحرب . ولطول اعتباركم لمخاطبة الابل ، جفا كلامكم وغلظت مخارج اصواتكم ، حتى كأنكم اذا كلمتم الجلساء انما تخاطبون الصمان . وانما كان جل قتالكم بالعصى . ولذلك فخر الاعشى على سائر العرب فقال :

لسنا نقاتل بالعصى ولا نرامى بالحجارة  
الا علالة او بدا هة تارح نهد الجزيرة (42)  
وقد رد الجاحظ على هذه الاتهامات معددا

الخصائص التي تتميز بها عقلية العرب ولغتهم على سائر اللغات فقال « وجملة القول انا لا نعرف الخطب الا للعرب والفرس . فانما الهند فانما لهم معان مدونة وكتب مخلدة لا تضاف لرجل معروف ولا الى عالم موصوف وانما هي كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة .

وليونانيين فلسفة وصناعة منطلق . وكان صاحب المنطق نفسه بكى اللسان غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه وهم يزعمون ان جالينوس كان انطق الناس ، ولم يذكره بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة . ونفى الفرس خطباء ، الا ان كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم فانما هو عن طول فكرة ، واجتهاد راي ، وطول خلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثانی علم الاول ، وزيادة الثالث في علم الثانی ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم . وكل شيء للعرب فانما هو بديهية وارتجال ، وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة ، وانما هو ان يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، او حين يمنح على رأس بئر ، او يحدو ببعير ، او عند المتارعة او المناظرة او عند صراع او في حرب ، فما هو الا ان يصرف همه الى جملة المذهب ، والى العمود الذي اليه يتصد فنائيه المعاني ارسالا ، وتشتال عليه الالفاظ انثيالا يقيده على نفسه ولا يدرسه احد من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلمون وكان الكلام الجيد عندهم اظهر واكثر ، وهم عليه اقدر ، وله اقهر ، وكل واحد في نفسه انطق ويكائه من البيان ارفع وخطباؤهم للكلام اوجد ، والكلام عليهم اسهل ، وهو عليهم ايسر من ان يفتقروا الى تحفظ ، ويحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من قبله ، فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب وان شيئا هذا الذي في ايدينا جزء منه الا بالمقدار الذي لا يعلمه الا من احاط بقطر السحاب ، وعدد التراب ، وهو الله الذي يحيط بما كان والعالم بما سيكون .

(42) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج 3 ص 14 : 15 .

اساس ان اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بالظروف التي يعيشها المجتمع فتتخلف بتخلفه وتتقدم بتقدمه وتنعكس عليها كافة الآثار العقلية والاجتماعية .

اما السبب فهو أننا نقيس عن طريق هذه الخصائص المستوى الحضارى للفرد عن طريق دراسة الظواهر التي تحتاج لعمليات عقلية وشروط نفسية خاصة لا توجد ولا تنمو ولا تتطور الا بواسطتها ومن خلالها .

وتد تبلورت لدينا هذه الخصائص ذات الدلالة الخاصة ، والتي سندرسها على الترتيب فيما يلي :

(1) الاشتقاق

(2) التجريد والمجاز

(3) الزمن كصيرورة .

1 - الفعل المضارع وما شابهه

ب - الابداز

## الفصل الاول

### (1) الاشتقاق :

تسم بعض العلماء الاشتقاق الى صغر وكبير واكبر والاشتقاق الصغر او الاصغر كما يسمى أيضا هو الاشتقاق الاساسى الذى بنيت عليه المادة المعجمية كلها وهو الذى يهنا أمره فى هذا البحث ، لانه من اخطر الاصول اللغوية دلالة على العمليات العقلية والنفسية المختلفة وارتباطها بها وهو يحتاج الى - ويبدل فى الوقت ذاته على - عدة عمليات مثل الملاحظة والجمع والترتيب والمقارنة والاستنتاج والادراك والخيال ورقة الاحساس ودقة التمييز فهو مقياس بالغ الاهمية لكل هذه العمليات على اختلافها وهو يستطيع ان يضع ايدنا على مقدرة العرب على الترقى من الحسى الى المعنوى وعلى التدرج فى الحسى والمعنوى ، وعلى ادراك العرب للعلاقات التى تربط الاشياء والكائنات بعضها ببعض .

ونحن - ابقاك الله - اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من القصيد والارجاز ومن المثنو والاسجاع ومن المزدوج وما لا يزودج فمعنا العلم ان ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع اشعر الناس اليوم ولا ارغمهم فى البيان ان يقول مثل ذلك الا فى اليسير والنبذ القليل .

ونحن لا نستطيع ان نعلم ان الرسائل التى بأيدى الناس للفريس انها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة واذ كان مثل ابن المقفع وسهل ابن هارون ، وابى عبيد الله وعبد الحميد ، وغيلان يستطيعون ان يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير « (43) والجاحظ هنا يلقي الكلام على عواهنه، ويزسله ارسالا بلا تدقيق او تحقيق فما هذه البديهة التى يتحدث عنها ، وما حدها وما مداها وما الفرق بين البديهة والالهام بهذا المعنى وكيف يتفق هذا وما ورد من شعر يدل على اناة شديدة واعمال فكر شديد وهو الطابع الغالب على القصيدة الكاملة ، وكيف يتفق هذا مع تحكيك زهير لقصائده حتى يحول عليها الحول قبل اخراجها للناس ؟

وما هو الطبع وما حده وما مداه ؟ كلام مرسل لا يدل على شيء .

وكذلك الكلام عن السجع والازدواج والديباجة والرونق . كلام مرسل ، اذ لا يتصور ان ينفرد العرب مثل الديباجة والرونق دون غيرهم من الامم كما لا يمكن تصور تيمة حقيقية للسجع والازدواج خارج اطار معين وهكذا نجد ان الكلام عن الخصائص بسبب من الدين او بسبب من النعرة لم يؤسس على اساس سليم، ولم يعرف حقه من البحث والمقارنة .

ولكننا سنعترض هنا لبعض الخصائص اللغوية على اساس مختلف ولسبب مختلف .

اما الاساس فانا لا ننظر الى الخصائص من ناحية تفرد العربية بها ، وانما ننظر اليها من ناحية ارتباطها ببعض الخصائص العقلية ودلالاتها عليها ، او على

(43) البيان والتبيين ج 3 ص 27 : 29 .

(4) ان المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل  
والفعل له امثلة مختلفة .

(5) ان الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر  
وليس العكس .

(6) ان المصدر لا يجرى على سنن في القياس  
ولو كان مشتقا من الفعل لما اختلف في أسماء الفاعلين  
والمفعولين .

(7) ان المصدر ولو كان مشتقا من الفعل لدل  
على ما في الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى  
ثالث .

(8) ان المصدر لو كان مشتقا من الفعل لوجب  
حذف الهمزة في مثل اكرم اكراما كما حذف في اسم  
الفاعل والمفعول تحوم « يكرم وفكر » .

(9) ان الاصل في تسمية المصدر هو الموضوع  
الذي يصدر عنه . وكل هذا دليل على ان المصدر اصل  
والفعل فرع .

ويلاحظ على أدلة الفريقين انها في اساسها ادلة  
مصنوعة كما يلاحظ ان أدلة الكوفيين اقرب الى الواقع  
كما انها تطابق القاعدة التي جرت عليها كتب النحو  
والصرف في اشتقاق المصادر والمشتقات المشهورة  
مثل أسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان وغيرها  
من الأفعال لا من المصادر ورغم المنطقية التي تتحكم  
في آراء الفريقين فاننا نجد الكوفيين قد احتجوا بحجة  
قوية ذات طبيعة استقرائية وهي ان المصدر لا يتصور  
معناه ما لم يكن فعل فاعل وهي حجة تهدم حجة  
البصريين الأساسية وهي ان المصدر اصل لانه يدل  
على زمان مطلق بينما الفعل يدل على زمان مقيد  
وذلك اطلاق المصدر يجعله غير صالح للاشتقاق لان  
الاشتقاق من هذا المطلق يحتاج الى عقلية فلسفية  
نظرية لا الى عقلية واقعية عملية وهي العقلية التي  
تامت بمسؤولية الاشتقاق على طول تاريخ العربية  
القديم قبل ان تظهر المدارس والمجامع اللغوية والنحوية  
المتخصصة هذا بالاضافة الى اضطراب البصريين في  
تصور المصدر فهو اسم حيناً ودال على الزمان حيناً  
ودال على الحدث دون الزمان حيناً مع أن ابن مالك  
وهو يشرح مذهب البصريين أكثر ما يشرح يقول :

ولكننا لا نستطيع أن نتصور هذه العلاقات الا  
اذا نظرنا الى الاشتقاق نظرة لغوية مستبعبدين جهد  
الإمكان النظرة المنطقية الى اللغة والنحو ، اى الا اذا  
نظرنا الى الاشتقاق من وجهة نظر تاريخية في ضوء  
النصوص الموجودة فعلا ، لا من وجهة تعديدية  
فالموازين الصرفية والقواعد النحوية قد وضعت بعد  
الإسلام وبعد عصر التدوين ومهما كان من اعتماد هذه  
الموازين والقواعد على النصوص فقد غلب التصور  
المنطقي على عقلية الذين وضعوا هذه القواعد واتموا  
هذه الموازين .

فقد اختلف الكوفيون والبصريون حول مصدر  
الاشتقاق هل هو الفعل او المصدر اما الكوفيون فذهبوا  
الى ان اصل الاشتقاق هو الفعل واحتجوا لرايهم بما  
يأتى :

(1) ان المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله .

(2) ان الفعل يعمل في المصدر .

(3) ان المصدر يذكر تأكيدا للفعل .

(4) ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل  
فاعل .

(5) ان المصدر انما سمي مصدرا لا لصدور الفعل  
عنه كما يقول البصريون وانما لانه مصدور فدل ذلك  
على ان الفعل اصل والمصدر فرع لانه تابع له فيما  
سبق .

واما البصريون فقالوا ان اصل الاشتقاق هو  
المصدر واحتجوا لرايهم بما يأتى :

(1) ان المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل  
على زمان معين .

(2) ان المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغنى  
عن الفعل واما الفعل فانه لا يقوم بنفسه وينتشر  
الى الاسم .

(3) ان الفعل بصيغته يدل على شيئين الحدث  
والزمان المحصل ، والمصدر يدل بصيغته على شيء  
واحد وهو الحدث .

المصدر اسم ما سوى الزمان من  
مدلولي الفعل كأمن من أمن

والاصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر  
اسمى .

على أن القول بالاشتقاق من الفعل أو المصدر  
كليهما تحكم لا مبرر له ، وهو يخالف في الوقت نفسه  
الواقع العملي للاشتقاق كما تصوره المادة المعجمية  
نفسها ، لقد نظر النحاة الى الاشتقاق من ناحية  
الميزان الصرفي الذي وضعوه بأنفسهم فأدى ذلك الى  
أن أصبحوا هم أنفسهم أسرى هذه الصيغ الصرفية .

وقد ذهب ولفنسون مذهب الكوفيين في القول  
بأن الاشتقاق لا يكون الا من الفعل فقال « أن من  
خصائص الساميات أن أغلب الكلمات فيها مشتق من  
اصل ثلاثي وثنائى وهذا الاصل فعل يضاف الى اوله  
أو آخره حرف أو أكثر .

نشأ من اشتقاق الكلمات من اصل هو الفعل  
ان سادت العقلية الفعلية - اذا صح هذا الاستعمال  
- على اللغات السامية ، اى أن لاغلب الكلمات في  
هذه اللغات مظهرا فعليا حتى في الاسماء الجامعة  
والالفاظ الدخيلة التي تسربت من اللغات الاجنبية .  
فقد أخذت هذه الكلمات مظهرا فعليا ايضا .

وقد رأى بعض علماء اللغة العربية ان المصدر  
الاسمى هو الاصل الذى يشتق منه اصل كل الكلمات  
والصيغ ، ولكن هذا الراى خطأ - في رأينا - لانه  
يجعل اصل الاشتقاق مضافا لاصله في جميع أخواتها  
السامية .

وقد تسرب هذا الراى الى هؤلاء العلماء من  
الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية

اما في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء فمنه  
تتكون الجبلة ، ولم يخضع الفعل للاسم والضمير بل  
نجد الضمير مسندا الى الفعل ومرتبطا به ارتباطا  
وثيقا .

وعلى كل حال فنظرية العقلية الفعلية في اللغات  
السامية هي نظريتنا الخاصة اذا لم يشر اليها احد من  
علماء الانرنج « (44) والى هذا الراى ايضا ذهب بعض  
الباحثين من المستشرقين كما بين ذلك مؤاد حسنين  
في نقده لادعاء ولفنسون أنه يتفرد وحده بين العلماء  
الغربيين بهذا الراى ، فقد ذكر مؤاد حسنين أن « هذا  
الراى وحده قد شغل العلماء وقتا طويلا فبعضهم من  
أفرد له الأبحاث العديدة في مجالات المستشرقين والبعض  
الأخر لم يقنع بذلك فكتب فيه الكتب الكثيرة وكان ذلك  
في القرن التاسع عشر فالنظرية العقلية ، ليست  
وليدة القرن العشرين وليست من نتائج قريحتك بل هي  
ثمار القرن التاسع عشر في أوربا ونتيجة من نتائج  
أبحاث جمهرة من أكابر مستشرقى ألمانيا » (45) .

كما ذهب باحثون آخرون الى أن أصل الاشتقاق  
في العربية هو الاصول الثنائية يقول الاب انستاس  
كرملى « الثنائية bilittéralism هي النظرية  
القائلة بأن الاصول في العربية - وكذلك في أخواتها  
السامية - ليست الالفاظ ذوات الحروف الثلاثة ،  
بل ذوات الحرفين ، أذن من شأن الثلاثيات أن ترد  
الى الثنائيات » (46) وقد دافع عن هذه النظرية  
جورجى زيدان فقال « ان الالفاظ المانعة (47) الدالة

(44) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ص 14 : 15 .

(45) اللغات السامية مؤاد حسنين بحث صغير بدون ترقيم .

(46) المعجمية العربية ص 6 .

(47) يقسم جورجى زيدان الالفاظ من حيث الدلالة الى « الفاظ ذات دلالة مطلقة ويسمبها « الفاظا  
مطلقة وهي التي تصح الدلالة بواحدة منها على اى موجود حسبها كان او معنويا ، وتشتمل على  
الضمائر واسماء الاشارة واسم الموصول وما شاكل ذلك . والى ذات دلالة مانعة وتدعوها  
تساهلا « الفاظا مانعة » اى لا يمكن الدلالة بأحدها الا على قسم من الموجودات او على نوع واحد  
من المعنى . فنقولنا « حيوان » مثلا نقصد بعض الموجودات وهكذا لو قلنا « مادة » او « قوة » اذ  
يخرج في الاولى جميع ظواهر القوة كالانفعالات والعقلية ، وفي الثانية تخرج المادة وظواهرها  
ولكن بقولنا « هذا » ربما نقصد الحيوان او المادة او القوة او المحبة ان الحزن أو الفرح أو ما شاكل  
ذلك ونقول « انت » لكل ما نخاطبه جمادا كان أو حيا حسبها أو معنويا ، وكذا في البواتى . والالفاظ  
المانعة تقسم الى « دالة على معنى في نفسها » وتنحصر في الفعل والاسم ومشتقاتها ودالة على معنى  
في غيرها « وهي الحروف وما شابهها » الفلسفة اللغوية زيدان ص 55 .

على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية ( احادية المقطع ) تحاكي اصواتا طبيعية (48).

وتشتمل هذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ، ولا يرون هذه الاصول قابلة للرد الى اقل من ذلك ، وعندى انها قابلة ولو بعد العناء . . . » (49)

ويؤيد مراد كامل وجهة نظر جورجي زيدان بقوله « ان اقدم الاسماء صيغة في اللغات السامية هي الاسماء الثنائية وقد حافظت العربية على بنائها الاصلى في كثير منها ، غير انها اشتقت من بعضها صيغا جديدة » (48) الا انه على الرغم من اقتناعه بأن اقدم الاسماء في اللغات السامية صيغة هي الاسماء الثنائية ، الا انه لا يرى ان هذه الاسماء وحدها هي الاصل فيقول : « وهناك أسماء ثلاثية اصلية نجدها مشتركة في اللغات السامية وهي على الاخص أسماء الأشياء المادية المنظورة الملموسة منها للحيوان : النمر والذئب والابل والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ، ومنها للنبات : العنب والثوم والقثاء والكمون ومنها لاجزاء الجسم الرأس والعين والاذن والانف والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذئب والقرن واللبن والكلية والكف ، ومنها لغير ذلك : السماء والشمس والارض والحقل والبئر والبيت والعمود والعرش والقوس والحبل والاناء والقمح والديش ، وهذه الاسماء كلها لم تشتق من الافعال والدليل على ذلك :

1 — انه في كثير منها لا يكاد معناها ان يحتمل الاشتقاق من فعل اصلا فمن اى فعل نشقت أسماء

كالذئب والقدم والرأس والارض ؟ ولماذا نفترض ان يكون هناك فعل اسبق من هذه الاسماء وامثالها ؟

2 — ان بعض هذه الاسماء تخالف الاعمال التي يحبل معناها الاشتقاق منها مخالفة تامة مثل الاذن ففعلها السمع ، وكذلك العين وفعلها رأى .

3 — لا نجد صلة بين اوزان هذه الاسماء ومعانيها فانا نرى الاسماء المتقاربة في المعنى متقاربة في الوزن نحو الثور والحمار والعين والاذن ، ولو اشتقت من افعال لكان لكل معنى وزن واحد بنيت عليه الاسماء او اوزان قليلة . . . » (51)

بل انه يذهب الى ان بعض الصيغ الرباعية مثل فعلل تدبنة جدا في اللغات السامية ومن اوزانه : عكبر وعقرب وارنب وهي سامية الاصل « (52) وان كان لا يمنع احتمال ان تكون الباء في عقرب وارنب علامة الحقت للدلالة على معنى كل منهما (53) .

كما يذهب الى ان هناك أسماء مشتقة من الافعال فيقول « ومن أسماء الأشياء المادية ما اشتق من الافعال مثال ذلك أسماء الآلة والمكان وهي سامية الاصل . ووزن مفعال للآلة اصله مفعال ثم الحقت به الميم ، وفعلل اقدم وزن لاسم الآلة في اللغات السامية ومنه : سنان ونطاق ولسان » (54) ثم يذهب في نهاية الامر الى ان الاشتقاق بالنسبة الى العربية بالغ المرونة حيث يقول واكثر اللغات السامية امسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة في زمان تديم جدا الا على القليل من الوزان كالمصادر والانساب فاصبحت جملة اسمائها محدودة لا يزداد عليها الا القليل في المادة الطويلة ، فاشتقاق الاسماء فيها ميت او يكاد . وداومت

(48) ذهب الى هذا ايضا بعض اللغويين العرب يقول بن جنى « وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشجيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندى وجه صالح ، ومذهب متقبل » الخصائص ط ص 44 — 45 .

(49) الفلسفة اللغوية ص 98 .

(50) الفلسفة اللغوية ، هامش ص 101 .

(51) نفس المصدر هامش ص 102 — 103 .

(52) ، 53 ، 54 ) نفس المصدر هامش ص 104 .

(53) الفلسفة اللغوية هامش ص 104 — 105 .

(54) انظر كتاب الاشتقاق ، لعبد الله أمين ففيه تفصيل واف لهذا الموضوع .

ب — أسماء القبائل : قيس قبيلة من مضر :  
تقيس فلان : اذا تشبه بهم وتمسك منهم اما بحلف  
أو جوار ، أو ولاء ، لسان العرب .

ج — أسماء الاقارب : الاب : ابوت وابيت :  
صرت ابا وابوته اباوة : صرت له ابا . ويقال : ماله  
اب يابوه : اى يغذوه ويربيه ، وتابيتن ابا : اى اتخذت  
ابا : لسان العرب .

د — أعضاء الجسم : اشتق العرب من أسماء  
الأعضاء افعالا ، اما تصريحا أو ضمنا ومن هذه الأفعال  
اشتقوا المصادر وجميع المشتقات ومن ذلك :

الابط : باطن المنكب : وتأبط الشيء : وضعه  
تحت ابطه ، لسان العرب .

الاذن : عضو السمع : واذنه اذنا فهو مأذون :  
اصاب اذنه على ما يطرد في الاعضاء ، واذنه كاذنه  
اى ضرب اذنه وقال : اذنت للشيء واذن له اذنا : اذا  
استمعت له ، لسان العرب .

#### \* أسماء متنوعة :

الجيش : الجنود يسرون لحرب أو غيرها :  
يقال جيش فلان اى جمع الجيوش واستجاشه : اى  
طلب جيشا ، لسان العرب .

الحبل : الرباط : وحبل الشيء حبلا شده بالحبل .  
لسان العرب .

الحصبة : الحمى واداته حصيته والحمى صغار  
الحجارة ، حصبه يحصبه حصبا : رماه بالحصباء ،  
وتحاصبوا : تراموا بالحصباء ، لسان العرب .

الخطام : كل ما وضع في انف البعير ليقاد به ،  
وخطمه بالخطام يخطبه خطما ، وخطبه : كلاهما  
جعله على انفه ، وكذلك اذا حز انفه حزا غير عميق ،  
يوضع عليه الخطام ، لسان العرب .

الذئب من الحيوان المفترس . فيه خبث ودهاء  
وهو شبه الكلب في الجسم : وذاب الرجل ذأبة ،  
وذئب .

وتذاب : خبث وصار كالذئب خبثا ودهاء — وذئب  
الرجل فزع من الذئب وذأبته : فزعته ، لسان العرب .

اللغة العربية تشتق الاسماء الجديدة الكثيرة على  
الاوزان المتنوعة . وجاز للشاعر أن يرتجل الاسماء  
الجديدة على الاوزان المعروفة فكانت الكلمة تستخدم  
مرة في بيت من الشعر ثم لا يعاد استخدامها وكسنت  
جملة الاسماء غير محدودة بل قابلة للزيادة والنقصان  
في كل وقت ووجد عدد من الاسماء في الواقع وان لم  
يوجد في الاستعمال ثم جمع اللغويون الكلمات المروية  
في الشعر عند العرب وضبطوا معانيها « (53) .

وهكذا نجد ان الدراسة الحديثة المؤسسة على  
منهج المقارنة بين اللغات السامية تلتقى مع الصورة  
الواقعية التي تقدمها المعاجم العربية فحين ينظر  
الى المادة المعجمية . . نجد ان اصل الاشتقاق مر  
جدا ، كما نجد ان الاشتقاق عملية عقلية تقوم على  
اساس ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه  
بصرف النظر عن نوع المشتق ، حتى انا لا نكاد نجد  
مادة معجمية لم تكن عندهم صالحة للاشتقاق ، سواء  
اكانت هذه المادة اسما أو فعلا أو حرفا (54) .

#### 1 — الاشتقاق من الاسماء :

لا يخضع الاشتقاق من الاسماء لقاعدة معينة  
فكل اسم قابل للاشتقاق ولكن هذا لا يعنى ان كل اسم  
يجب ان يشتق منه ، وانما ذلك امر متروك للظروف  
العقلية وحدها ، فقد اشتق العرب مثلا من :

x أسماء العدد وأسماء الأزمئة : فمن أسماء  
العدد : ثنيته اثنيته ثنيا صرت معه ثانيا ، وثنيته  
الشيء بالثقل : جعلته اثنين . المصباح المنير ، ومن  
أسماء الأزمئة ، الاصيل : الوقت بعد العصر السى  
المغرب ، وأصلنا : دخلنا في الاصيل ، لسان العرب .

x أسماء الاعيان :

ا — الامكنة : الحرم : مكة واحرم القوم :  
دخلوا في الحرم . لسان العرب .

السرب : المسلك في خفية أو الانسراب الدخول  
في السرب . لسان العرب .

الشرق : ناحية طلوع الشمس . وشرقوا ذهبوا  
الى الشرق ، أو اتوا الشرق لسان العرب .

والاشتقاق من الاسماء على اختلافها كثير جدا ولا يقع تحت حصر ، ولا يتصور ان تكون هذه الاسماء نفسها مشتقة عن افعال أو مصادر لانه لا يوجد لها موازين معينة ولا طرق واضحة في الاشتقاق يمكن ان توضع لها اقيسة مطردة كالاسماء التي تؤخذ من غيرها مادة ومنها المصادر نفسها ، وانما الممكن هو ان يكون غيرها من المشتقات والافعال والمصادر مأخوذا عنها ، لان لكل منها موازين معينة ، وطرقا في الاخذ مطردة .

ومما يقوى ان الاشتقاق قد وقع في الاسماء ابتداء دون ان تكون هذه الاسماء نفسها مشتقة من مصادر وافعال ، ان العرب قد اعرّبوا اسماء اعجمية ، ثم اشتقوا منها مصادر وافعالا ومشتقات — وذلك عندهم كثير جدا — ولا يعقل ان يكونوا قد اشتقوا من افعال أو مصادر هذه الاسماء في مصادرها الاعجمية ، ومن هذه الاسماء :

الدرهم والدرهم لغتان . فارسي او يوناني (55)  
معرب ملحق ببناء كلامهم :

ورجل مدرهم ولا فعل له : كثير الدراهم . حكاه ابو زيد قال :

ولم يقولوا درهم . قال ابن جنى : لكنه اذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل ، ودرهمت الخبازى : استدارت فصارت على اشكال الدراهم فعلا وان كان اعجميا ، قال ابن جنى واما قولهم : درهمت الخبازى فليس من قولهم : الرجل مدرهم ، لسان العرب .

الفلفل : بالضم معروف لا يثبت بأرض العرب وقد كثر مجيئه في كلامهم . وقد فلفل الطعام والشراب . وثوب مفلفل : اذا كانت دارات وشبه تحكى استدارة الفلفل وصفره ، وخر مفلفل القى فيه الفلفل ، فهو يحدى اللسان ، وشراب مفلفل : اى يلذع لذع الفلفل لسان العرب .

وقد صرح النحويون بجواز الاشتقاق من الاسم

الرباعى ووقعه فيه . يقول جمال الدين ابو عبد الله محمد بن مالك في كتاب ( تسهيل الفوائد ) ، وتكميل المقاصد في النحو ) ( فصل ) انفرد الرباعى بفعل لازم ومتعديا لمعاني كثيرة . وقد يصاغ من اسم رباعى ، التسهيل 56 : 57 .

ويقول سيبويه في ( هذا باب تمثيل ما بنت العرب من نبات الاربعة في الاسماء والصفات غير مزبدة وما الحقها من نبات الثلاثة كما لحقها في الفعل ما يأتى :

فالحرف من نبات الاربعة يكون على مثال فعلل ، فيكون في الاسماء والصفات فالاسماء نحو جعفر ، وعنبر ، وجندل ، والصفة : مسلوب وجلحم ، وشجمع ، وما الحقوا به من نبات الثلاثة حوفل ، زينب وجدول ، ومهدد ، وعلقى ، ورعشن ، وسبتنة ، وعنسل

وهذا النحو لانك لو صيرتهن فعلا كن بمنزلة الاربعة . فهذا دليل الا ترى أنك حيث قلت : حوقلت وبيطرت ، وسلقيت اجرتهن مجرى الاربعة « (56) .

## 2 — الاشتقاق من حروف :

وقع الاشتقاق في المعاجم من الحروف على اختلافها ، سواء اكانت حروفا للمعاني ، أو حروفا هجائية .

### أ — حروف المعاني : من ذلك :

سوف : كلمة معناها التنفيس والتأخير ، قال سيبويه : سوف : كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد ، الا ترى أنك تقول : سوفته : اذا قلت له مرة بعد مرة ، سوف افعل ، لسان العرب .

نعم : قالوا : نعم الرجل ، اذا قال له نعم ، ونعم نعم كتوك بلى ، الا ان نعم في جواب الواجب وهى موقوفة الآخر ، لانها حرف جاء لمعنى ، وفي التنزيل « هل وجدتم ما وعدتكم حقا ؟ قالوا : نعم . ونعم الرجل : قال له نعم ، فنعم بذلك بالا ، وانعم له : اى قال له : نعم ، لسان العرب .

(55) في الجهرة ج 3 ص 368 ان الكلمة معربة وكذلك في اللسان ولم يذكر مصدرها وذكر الاب انستاس الكرملى في مجموع النقود العربية ( حاشية ص 24 ) ، الدرهم في اليونانية دراهمى : انظر تعليق محمود شاكر على مادة درهم هامش المعرب للجواليقى ص 48 .  
(56) سيبويه 2 — 335 .

ب - حروف الهجاء : من ذلك :

حرف التاء : رَجُلٌ تَأْتَا وَعَلَى فَعَلَال ، وفيه تَأْتَاه :  
يتردد في التاء اذا تكلم ، والتأْتَاة حكاية الصوت ،  
لسان العرب .

حرف الفاء : الْفَأْفَاءُ عَلَى فَعَلَالِ الَّذِي يَكْثُرُ  
تُرَادُ الْفَاءُ إِذَا تَكَلَّمَ ، وَالْفَأْفَاءُ حَبْسَةٌ فِي اللِّسَانِ ،  
وَعَلِيَّةُ الْفَاءِ عَلَى الْكَلَامِ ، وَقَدْ فَأْنَا ، وَرَجُلٌ فَأْنَا وَفَأْنَا  
يُؤَدُّ وَيَقْصُرُ وَامْرَأَةٌ فَأْنَاةٌ ، وَفِيهِ فَأْنَاةٌ . اللَّيْثُ : الْفَأْفَاءُ  
فِي الْكَلَامِ كَأَنَّ الْفَاءَ تَغْلِبُ عَلَى اللِّسَانِ فَنَقُولُ : فَأْنَا  
فَلَانٌ فِي كَلَامِهِ فَأْنَاةٌ ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : الْفَأْفَاءُ : التَّرِيدُ فِي  
الْفَاءِ ، وَهُوَ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْفَاءِ إِذَا تَكَلَّمَ ، لِسَانَ الْعَرَبِ .

هذا فيما يختص بالاستتقاق من الاسماء والحروف  
اما لاستتقاق من الاعمال فلا حاجة الى ايراد امثلة له  
لانه اشهر انواع الاستتقاق وعلى اساسه قامت القواعد

وهكذا يتبين لنا ان الاستتقاق لا يمكن ارجاعه  
الى اصل واحد بعينه ويظهر ان بعضا من اللغويين  
القدماء قد تنبه الى هذه المسألة بعد تدوين المعاجم ،  
وظهور تنوع مصادر الاستتقاق فيها ، فقد ذكر السيوطي  
قول « طائفة من المتأخرين اللغويين كل الكلم مشتق ،  
ونسب ذلك الى سيويوه والزجاج » (57) وان كان  
التعميم على هذه الصورة يجنح الى التطرف كما لاحظ  
ذلك السيوطي (58) - لا لما يستلزمه من قول بالدور  
والتسلسل كما ذهب (59) وانما لان بعض المكلم وهو  
الحروف الابجدية يستحيل ان يكون لها مصدر اصلي  
نشق منه ، وان كان من الممكن ان تكون هي نفسها  
مصدرا للاستتقاق كما مر .

وخلاصة القول ان الاستتقاق لا يرجع الى سبب  
آخر وراء مناسبة المعنى بين المشتق والمشتق منه  
فكون المشتق منه فعلا او اسما او حرفا لا دخل له في  
عملية الاستتقاق ذاتها فليس هناك أصل وفرع ، وانما  
هناك مشتق ومشتق منه او كما يقول تمام حسان  
الاستتقاق « رد لفظ الى آخر لموافقته اياه في حروفه

الاصلية ومناسبته له في المعنى » (60) فالقول بان  
كلمة او صيغة اصل لكلمة او صيغة اخرى مردود في  
القديم والحديث فلا الفعل كما يقول الكوفيون ، ولا  
المصدر ، كما يقول البصريون ، اصل للمشتقات ، لانك  
تدرايت ان الادلة على اصالة كل منهما ضعيفة لا تقاوم  
النظرة الفادحة . فما وجه القول اذا في الاستتقاق ،  
وما نظرة علم اللغة الحديث اليه ؟

وجه القول كما اراه في ضوء الدراسات اللغوية  
الحديثة ، ان مسألة الاستتقاق تقوم على مجرد العلاقة  
بين الكلمات واشتراكها في شيء معين خير من ان تقوم  
على افتراض اصل منها وفرع » (61) .

### الصيغة او الميزان الصرفي :

ولكن اذا كان الاستتقاق كسب لنا على هذه  
الصورة المرونة العظيمة في العقلية العربية ، وطائفة  
الخيال الواسعة القادرة على ادراك مختلف العلاقات  
الدقيقة والمناسبات المتنوعة بين الاشياء والاشياء  
- او بين الاشياء والمعاني - او بين المعاني والمعاني  
او بين الاعمال والاشياء والمعاني .. فان الصيغة  
التي بنى عليها الاستتقاق او الميزان الصرفي للكلمة  
يكشف لنا عن خاصية تكاد تنفرد العربية بها « وتدخل  
الصيغة في الجدول كما تدخل الامثلة اي الكلمات  
التي توزن عليها - فنحن نستطيع ان نصرف  
الصيغة من غير الاستعانة بامثلتها ، وهذه خاصية  
من خواص اللغة العربية ، وربما كانت في اللغات  
السلمية ايضا . مثال ذلك :

	افتعلت	افتعل	انا
	افتعلنا	نفتعل	نحن
افتعلی	افتعلت	تفتعل	انت
افتعلی	افتعلت	تفتعلين	انت
افتعلنا	افتعلتما	تفتعلان	انتما

(57 ، 58) الزهرج 1 ص 348 .  
(59 ، 60) مناهج البحث في اللغة تمام حسان ص 178 .  
(61) نفس المصدر ص 181 - 182 .

التحديد فيعمدون الى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها في هذا الغرض ، ويظهر القسر والسف في استخدامها واضحا . فاما اتخاذ الصيغة الصرقية اداة من ادوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق ، فميزة اللغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفاخر بها ( التأكيد من عندي ) .

وتساعد الصيغة في الاعم الاغلب على تحديد الباب ايضا ، ذلك لان معناها الوظيفي هو المورفيم ، نفسه تعبير عن الباب ، فكان الباب احد معاني الصيغة غير المباشرة . ومعنى هذا الكلام اننا اذا اخذنا « فاعل » فسنجد كل ما على مثالها داخلا في باب الفعل الماضي الذي يدل على المشاركة ، ( نقول غالبا اضرازا من « سائر » ) ، فالصيغة هنا دلت على النسبة الى قسم من اقسام الكلام ، وهذه ميزة من ميزات اللغة العربية ايضا ( التأكيد من عندي ) .

واعتماد هذه الدلالة هي ما يسميه علماء اللغة بالتحديد الجراماطبقي (62) .

وعن طريق هذه الصيغة التي لا يحتاج تفسير المعنى فيها يتقابلها من فعال الى اكثر من زيادة حركة ، كعلم وعلم .

أو — زيادة مادة كطالب وطلب

أو — زيادتها كضارب وضرب

أو — نقصان حركة كفرس وفرس

أو — نقصان مادة ككتب وكتاب

أو — نقصانها كنزا ونزوان

أو — نقصان حركة وزيادة مادة كفضي وفضب

أو — نقص مادة وزيادة حركة ، كحرم وحرمان

أو — زيادتها مع نقصانها ، كاستنوق من الناقاة .

أو — تغاير الحركتين كبطر بطرا

أو — نقصان حركة وزيادة اخرى وحرف ، كاضرب من الضرب .

انتم	افتعلمتم	تفتعلمون	افتعلوا
انتن	افتعلمتن	تفتعلمن	افتعلمن
هو	افتعل	يفتعل	
هي	افتعلت	تفتعل	
هما	افتعلتا	يفتعلان أو تفتعلان	
هم	افتعلوا	يفتعلون	
هن	افتعلمن	يفتعلن	

ومثل هذا يمكن أن يتم مع كل صيغة من صيغ الاعمال نتيجة ذلك تصريفا في الداخل مورفيم الافتعال . بحسب اختلاف الضمائر الشخصية التي يعبر كل منها عن مورفيم آخر هو المتكلم أو الخطاب أو الغيبة مع مورفيم الافراد أو التثنية أو الجمع .

واكتفاء الصرف بالصيغة كإكتفاء الاصوات بالصوت ، واكتفاء التشكيل بالحرف والمقطع استكفاء مرضه التحليل . والا فليست هذه الامفومات منهجية لا تعبيرات باللغة .

ونحن لا نتكلم اصواتا ، ولا حروفا ، ولا مورفيمات ، ولا صيغا ، وانما نتكلم جملا مفيدة مركبة من هذه الاجزاء التحليلية ، التي يعتبر النظر المنهجي مسؤولا عن اكثرها ، حيث يخلقتها باعتبارها وسائل تقسيمية ، او ادوات لتناول مادة اللغة تناولا يبنى على منهج خاص . فالصيغة جزء من المنهج لا من اللغة نفسها ، وانك تقول « خرج محمد بالامس » فنتكلم على شرط اللغة ولا نقول « فعل مفعل بالفعل » لان هذا ليس من اللغة .

واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية لان هذه الصيغ تصلح لان تستخدم اداة من ادوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في انسياق ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الاساس الذي يمكن به ان تحدد الكلمات ( التأكيد من عندي ) .

والباحثون في لغات غير لغاتهم جديدة عليهم يعانون التعب والمشقة اللذين يجدونها في سبيل هذا

(62) مناهج البحث في اللغة 175 : 177 .

هذا الطريق تكونت هذه المادة اللغوية الضخمة التي تملأ بطون المعاجم ، كما فتح باب القياس لتستمر اللغة في نموها وازهارها على نفس الاساس على اختلاف الاجيال واختلاف العصور واختلاف الظروف .

نخرج من هذا بان الاشتقاق في اصوله المختلفة ، والصفة او الميزان الصرفي في تقاليبه المتعددة يمكنان ، برونة عقلية واسعة ، ودقة شديدة للاحظة المناسبات والفروق الحسية والمعنوية التي تتمتع تحت التصرف ، ومقدرة على التمييز الدقيق بين درجات هذه الفروق ، وخيالا واسعا يستوعبها جميعا دون تصور أو اعياء ، وارهاتا شديدا في الحس يلمح ما خفى وما دق من الفروق ، والدلالات ، والاشارات .

أو - نقصان مادة وزيادة اخرى كراضع من الرضاعة .

أو - نقص مادة وزيادة اخرى وحركة كخاف من الخوف .

أو - نقصان حركة وحواف وزيادة حرف ، كماخر من الفخار .

نقصت الفا وزادت الفا وفتحة (63) .

عن طريق هذه التغيرات البسيطة يمكن اشتقاق سبعة وخمسين مادة من مادة واحدة هي مادة ( الجمل ) كما سيرد عند الكلام عن التجريد ، وعن